تاريخ الكنيسة

الجزء الثالث

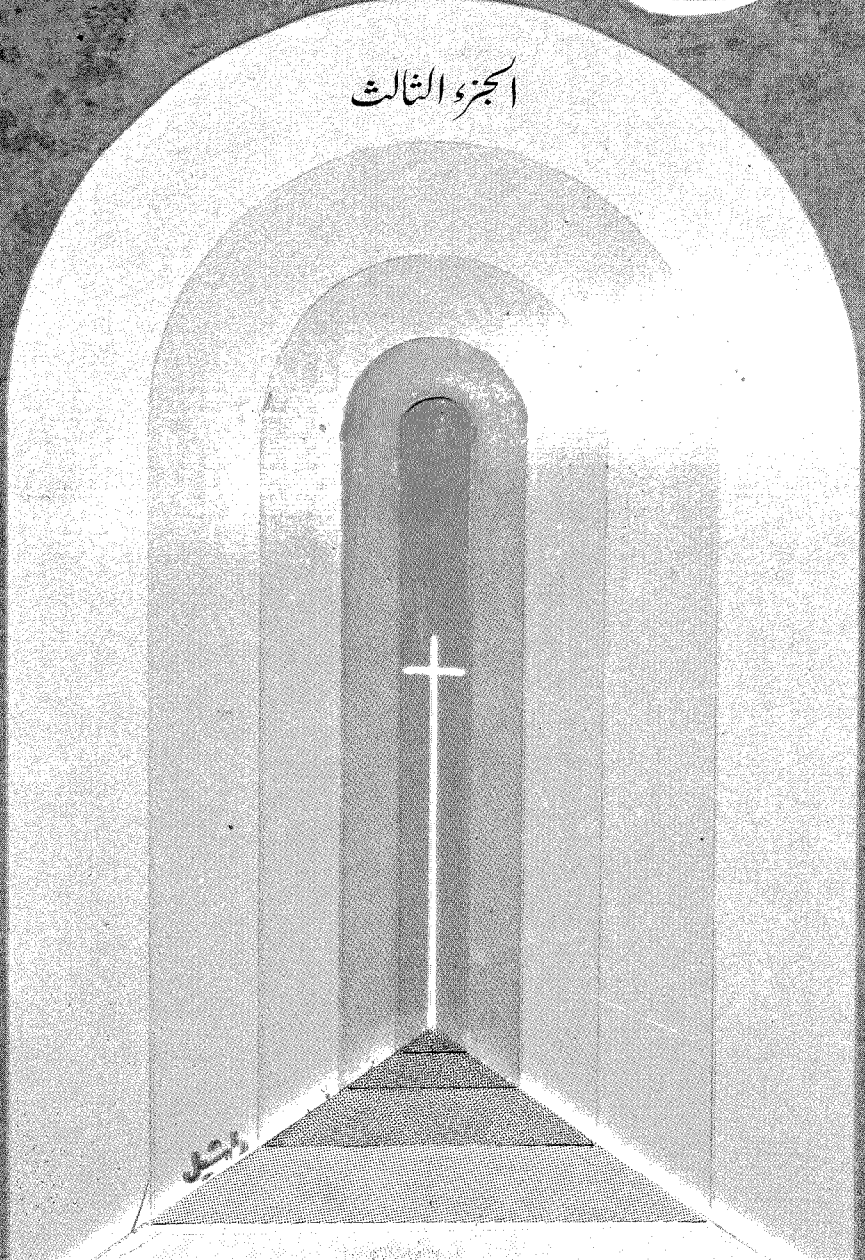

تاريخ الكنيسة

الجزء الثالث

چون لوريمر

دار الثقافة

طبعة أولي

صدر عن دار الثقافة ص . ب . ١٢٩٨ - القاهرة

كتب باللغة الإنجليزية بعنوان : The Church History

جميع حقوق الطبع محفوظة للدار (فلا يجوز أن يستخدم إقتباس أو إعادة نشر أو طبع بالرونيو للكتاب أو أي جزء منه بدون إذن الناشر ، وللناشر وحده حق إعادة الطبع

. ١ / ٤٦١ ط١ ك٣ (أت) / ٥ - ٥ / ٨٨

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٣٧٨ / ٨٨

طبع بمطبعة دار الجيل للطباعة

تمهيد

في هذا المجلد الثالث من تاريخ الكنيسة المسيحية ، نتناول أحداث القرنين الرابع والخامس وأجزاء من القرن السادس . وقد تميز القرن الرابع بالمساجلة الأريوسية وبأول مجمع مسكوني ، وبالعلاقة السلمية الجديدة بين الكنيسة والإمبراطورية . كما تظهر فيه بعض الشخصيات من أعظم آباء الكنيسة في الشرق والغرب ، ثم نتناول بعد ذلك القرن الخامس وهو فترة الجدل حول عقيدة ألوهية المسيح وعمله والإنقسام المتزايد بين المجتمعات الشرقية و الغربية .

يوجد في آخر كل فصل من هذا المجلد - كما في المجلدين السابقين جدول باللغة الإنجليزية يشتمل علي المراجع المختارة لمعاونة كل طالب يختار بذل الجهد والتعمق في أحد الموضوعات . ويمكن العثور علي كل المراجع المشار اليها - ماعدا القليل منها - في مكتبة كلية اللاهوت بالقاهرة .

المؤلف

محتويات الكتاب

١ – قسطنطين والكنيسة

قسطنطين يقوي مركزه – ليسينيوس يضطهد المسيحيين– قسطنطين يهزم ليسينيوس – قسطنطين الحاكم الأوحد –قسطنطين كان مهيأ لقبول المسيحية – هيلانة أم قسطنطين – سمات المسيحية عند قسطنطين –قسطنطين يحسب نفسه مسيحيا – عماد قسطنطين وموته – التسامح مع الأديان الأخري – ممثل الله علي الأرض – المسيحية والإمبراطورية – مشكلة الوحدة في الإمبراطورية – المحبة المسيحية تخدم الإمبراطورية – إهتمام قسطنطين بالكنيسة – اصلاحات قسطنطين – إمتيازات للكنيسة – حفظ يوم الأحد ، نسخ أسفار الكتاب المقدس ، بناء الكنائس – الكنيسة تصبح غنية –أضرار تلحق بالكنيسة – " الدهماء" ينضمون للكنيسة – ازدياد الهرطقات – الحد من الممارسات الوثنية – العقلية الوثنية تستمر–تأثير الوثنية علي التقويم – نقطة تحول تاريخي .

٢ – الأريوسية ومجمع نيقية

أ – أريوس

عصر جديد في الفكر اللاهوتي – أريوس – أريوسيون قبل أريوس – الفكر اللاهوتي لدي أريوس – نظرية أريوس عن المسيح ككائن وسط – أريوس يستعين بالنصوص الكتابية – عزل أريوس وذهابه الي قيصرية – معركة المكاتبات – المعركة تصبح عامة – قسطنطين يكتب لأريوس واسكندر – هوسيوس يقنع الإمبراطور .

ب – نيقية

مجمع في أنطاكية – دعوات من الإمبراطور – مندوبون الي نيقية – نيقية أول مجمع مسكوني – قسطنطين يحضر الجلسة الإفتتاحية – الفرق الثلاث في نيقية – قانون الإيمان ليوسابيوس – هومو أوسيوس (من ذات الجوهر) – قانون الإيمان الأخير مع الأناثيما – الأناثيما أي الجرم – القانون النيقوي لمجمع القسطنطينية – التوقيع علي القانون مع بعض التحفظات – انقسامات أساسية في نيقية – كراهية قسطنطين لأريوس – أهمية نيقية – قرارات حول المنشقين وتاريخ عيد القيامة – قرارات حول إدارة الكنيسة – الجلسة الختامية – الكنيسة والدولة معا .

٣ – الجدل الأريوسى بعد نيقية ودور أثناسيوس

أ – من نيقية (٣٢٥م) حتي وفاة قسطنطين (٣٣٧م)

تحفظات حول نيقية – الأريوسيون يهاجمون يوستاثيوس – أريوس يكسب عطف الإمبراطور – أثناسيوس يخلف اسكندر – الأريوسيون والميليتيون ضد أثناسيوس في مجمع صور – الاتهامات ضد أثناسيوس وعزله – نفـــي أثناسيوس الي بلاد الغال – انتقال المجمع الي أورشليم – عزل مرسيللوس أسقف أنقره – الإبقاء علي قانون نيقية – موت قسطنطين – قسطنطين فـي الميزان .

ب – الفكر اللاهوتي لدي أثناسيوس

تفنيد أثناسيوس للأريوسية – لاهوت المسيح وناسوته معا في الثالـــوث – الخلاص كامل – الروح القدس – هوموأوسيون – هومويوسيون –أناموبوسيون .

ج – من موت قسطنطين(٣٣٧م) حتي اعتلاء يوليانوس للعرش(٣٦١م)

إستمرار الصراع مع الأريوسية

أبناء قسطنطين – سياسة قسطنطيوس ضد الوثنية – فيرميكوس يشجع الحملة ضد الوثنية – قوانين ضد الوثنية – قسطنطيوس يرعي رجال الدين المسيحيين – قسطنطيوس يريد الوحدة في الكنيسة – أثناسيوس يهرب الي روما – حملات أثناسيوس دفاعا عن قرارات نيقية – يوليوس يساند أثناسيوس – يوسابيوس يهاجم أثناسيوس في أنطاكيه – الفروق بين الشرق والغرب – قسطانز الحاكم الأوحد في الغرب – مجمع ساردیكا – الإمبراطوران يفرضان حلا وسطا – مشاكل جديدة مع الدوناتيين – قسطانز– قسطنطيوس الإمبراطور الأوحد – قسطنطيوس يجبر الكنيسة علي عزل أثناسيوس – سلطة قسطنطيوس علي الكنيسة – الهجوم علي أثناسيوس في الإسكندرية – قسطنطيوس يعين جورج في مكان أثناسيوس– أصدقاء أثناسيوس يحمونه – أثناسيوس يكتب وهو في المنفي – خدمة أثناسيوس الرعوية – أنصاراللامشابهة في الجوهر (الأنوموبوسون) جماعة أريوسية متطرفة – مجمع سيرميوم – مجمع أريمينوم ومجمع سلوقيا وال " هوموبوس " – قبول هوموبوس من الأريوسيين – التقارب بين النيقويين وأنصاف الأريوسيين – استخدام أثناسيوس لصيغة هوموأوسيوس – أثناسيوس وباسيليوس .

د – يوليانوس المرتد (٣٦١ – ٣٦٣م)

يوليانوس وإنتعاش الوثنية – حياة يوليانوس المبكرة وتربيته – غريغوريوس يصف يوليانوس – قيادة يوليانوس للجيش الغربي – يوليانوس يصبح الإمبراطور الأوحد

عند موت قسطنطيوس - يوليانوس يكشف عن معتقداته الوثنية - اصلاحات يوليانوس في الحكومة - يوليانوس يحاول إحياء الديانة الوثنية - يوليانوس يضيق الخناق علي المسيحية - إجراءات عنيفة ضد المسيحيين - إحتقار يوليانوس للمسيحيين - يوليانوس ينتقد المسيحية - يوليانوس يهزأ بالمسيحية - يوليانوس يحاول إعادة بناء الهيكل في أورشليم - يوليانوس يفشل في إحياء الوثنية - موت يوليانوس .

٤ - من جوفيان الي ثيودوسيوس ومجمع القسطنطينية (٣٦٣ - ٣٨٢ م)

الإمبراطور جوفيان - العمل نحو الإتفاق - فالنتنيان وفالينز - السنة الأخيرة لأثناسيوس - أثناسيوس وقانونية الأسفار الكتابية - بطرس يخلف أثناسيوس.

أ - الآباء الكبادوكيون من آسيا الصغري

١ - باسيليوس أسقف قيصرية :

تربيته الأولي - باسيليوس وحياة الرهبنة - تحفظات باسيليوس حول حياة الرهبنة - إنتخاب باسيليوس أسقفا لقيصرية - باسيليوس يخدم الفقراء - باسيليوس يجيب علي فالينز - فالينز يحترم باسيليوس - باسيليوس يحاول الحصول علي مساعدة روما - أعداء الروح القدس - تعليم أبوليناريس .

٢ - غريغوريوس النازيانزي :

إشتهار غريغوريوس في القسطنطينية - غريغوريوس يصبح أسقفا للقسطنطينية.

٣ – غريغوريوس النيسي :

إنتشار علم اللاهوت – الكابادوكيون وقانون الإيمان النيقوي – الكابادوكيون يتأملون الطبيعة .

ب – ثيودوسيوس ومجمع القسطنطينية

المسيحية الديانة الوحيدة للإمبراطورية – مرسوم ثيودوسيوس – قوانين لحماية المسيحية – مجمع القسطنطينية المسكوني – "فيليوك " – قانون ايمان نيقية الحالي .

٥ – الكنيسة المسيحية والامبراطورية في نهاية القرن الرابع الميلادي

قرن حرج للكنيسة – الفرق بين الشرق والغرب – المسيحيون يزدادون عددا.

أ – إدارة الكنيسة

النظام الإداري للكنيسة – القوة المتزايدة للمطارنة ولروما – العلمانيون والإكليروس في القرن الثاني – الإكليروس يتولون أعمال العلمانيين في القرن الثالث – انفصال العلمانيين عن الإكليروس بعد مرسوم ميلان – قيام العلمانيين بالأسرار المقدسة بشروط معينة – العلمانيون ينتخبون الأساقفة– شيوخ علمانيون للكنيسة – محامون علمانيون للتعاون مع الأساقفة – التقويم المسيحي .

ب – الأسرار المقدسة وحياة التكريس

تطور الأفخارستيا – المعمودية – التوبة – صحة الأسرار المقدسة وقداسة الكنيسة الحقيقية – حياة التكريس السرية – تكريم القديسين والشهداء – زيارة الأماكن المقدسة .

ج – الأخلاق المسيحية

المسيحية تهذب الأخلاق في الإمبراطورية – العطف المسيحي علي المرضي والجياع .

د – الكنيسة والبريسكليانيون

تصرف الكنيسة مع البريسكليانيين – عدم التسامح مع الهراطقة .

هـ – الكنيسة واليهود

التسامح المبكر مع اليهود – قسطنطين يحتقر اليهود – قوانين ثيودوسيوس لصالح اليهود – التعصب المسيحي ضد اليهود – المسيحيون يتبعون العادات اليهودية .

و – الكنيسة والوثنية

جراتيان يرفض الرموز الوثنية – المسيحيون يتخذون خطوات ضد الوثنية – تحويل المعابد الي كنائس – مهاجمة المسيحيين في الإسكندرية للسرابيوم – شكوي ليبانوس الي ثيودوسيوس – الوثنية تتشبث بالبقاء .

ز – الثقافة والترف في الكنيسة

البابا داماسوس والثقافة المسيحية الجديدة – سيادة بابا روما – التبذير والترف في الكنيسة – رسامة الأثرياء بسهولة – نقد الكتّاب الوثنيون للمسيحية – نقد غريغوريوس للترف في الكنيسة .

ح – الكنيسة والإمبراطورية

الإمبراطورية المقدسة والإمبراطور المقدس – الإمبراطورية " المسيحية " – أفول نجم الإمبراطورية – سقوط روما نهائيا .

٦ – القبائل البربرية والكنيسة المسيحية

القبائل البربرية علي حدود الإمبراطورية – علاقات سلمية مع القوطيين – التأثير المسيحي علي القوطيين .

أ – أولفيلاس (Ulfilas)

حياة أولفيلاس المبكرة – إرسالية أولفيلاس الي القوط – الكتاب المقدس بلغة القوطيين .

ب – سقوط الإمبراطورية أمام القبائل

الجيوش القوطية تغزو الإمبراطورية الغربية – سقوط الإمبراطورية الرومانية –علاقات طيبة بين الكنيسة والقبائل – الكنيسة تدعي لنفسها القيادة السياسية وتتولاها .

٧ -آباء الكنيسة في القرنين الرابع والخامس

أ- أمبروسيوس أسقف ميلانو (٣٣٩ - ٣٩٧ م) Ambrose

أسرة أمبروسيوس المسيحية - تعيين امبروسيوس حاكما - نزاع حول اختيار أسقف لميلانو - أمبروسيوس يصبح اسقفا لميلانو - أمبروسيوس يعتني بالفقراء ويهتم بهم- دراسات أمبروسيوس - أمبروسيوس و جراتيان - المسيحية الديانة الوحيدة للامبراطورية - أمبروسيوس يعارض جوستينا - أمبروسيوس يكرم رفات الشهداء - معارضة جمع الرفات والذخائر - موت فالنتيان الثاني - أمبروسيوس وأغسطينوس - أمبروسيوس وثيودوسيوس-أمبروسيوس يأمر ثيودوسيوس بتغيير امر اصدره - ثيودوسيوس ومقتل سبعة الاف في تسالونيكي - امبروسيوس يدين ثيودوسيوس - ثيودوسيوس يجب ان يتوب - أمبروسيوس يطرد ثيودوسيوس من الكنيسة - توبة ثيودوسيوس - موت ثيودوسيوس - موت أمبروسيوس - الدولة لا تتدخل في شئون الكنيسة - الكنيسة فوق الدولة - مؤلفات أمبروسيوس - أمبروسيوس يحول الكنيسة إلي اللاتينية كما فعل داماسوس.

ب- جيروم (٣٤٢ ؟ - ٤١٩ م) (Jerome)

حياته المبكرة - جيروم يختار حياة الرهبنة - ارتياحه لحياة الرهبنة - انقطاعه عن الكتّاب الوثنيين - جيروم كاهنا واستمراره في الدراسة ، اختياره سكرتيرا للبابا - انتقاد جيروم لارستقراطية روما - جيروم يهاجم كل العلاقات الجنسية - جيروم والسيدة بولا - جيروم ينتقل الي بيت لحم - حياة الرهبنة في بيت لحم - الحجاج الي بيت لحم - موت بولا - جيروم يناضل الاخرين - جيروم ليس عالما لاهوتيا - جيروم يتحدث عن نشأة الاسقفية - جيروم يؤيد سيادة البابوية في روما - جيروم يترجم

الفولجاتا - جيروم يترجم من العبرية - شخصية جيروم.

ج – ثلاثة آباء شرقيون

١ - كيرلس أسقف أورشليم (٣١٠ - ٣٨٦ م)

٢ - أبيفانيوس أسقف قبرص (٣١٥ - ٤٠٣ م)

٣ - أفرايم أسقف سورية (٣٠٦ - ٣٧٣ م)

د – يوحنا فم الذهب Chrysostom (٣٤٥ – ٤٠٧ م)

كريسوستوم فم الذهب ، حياته العائلية - فم الذهب الطالب - فم الذهب في الدير - فم الذهب في انطاكية - فم الذهب واعظا - فم الذهب رئيس أساقفة القسطنطينية - توجيه النقد الي يوحنا ذهبي الفم - عزل فم الذهب في مجمع البلوط - عزل فم الذهب ونفيه وموته - الفرق بين الكنيستين الشرقية والغربية - فم الذهب نيقوي في الفكر اللاهوتي.

هـ – أغسطينوس أسقف هيبُّو(٣٥٤ –٤٣٠م)(Augustine)

١ – حياة أغسطينوس

شهرة أغسطينوس - اعترافات أغسطينوس - سنوات عمره الاولي - الصراع الذهني والاخلاقي - أغسطينوس والمانوية - أغسطينوس وأمبروسيوس - صراع أغسطينوس الروحي - " خذ واقرأ " - الله يجد أغسطينوس - أغسطينوس أسقف علي هيبو - زعامة أغسطينوس في هيبو.

٢ – أغسطينوس ضد الدوناتيين

مشكلة الدوناتية – الدوناتية تهدد وحدة الكنيسة – أغسطينوس يهاجم الدوناتية الدوناتيون يجبرون علي العودة إلي الكنيسة –أغسطينوس واستخدام القوة.

٣ –اللاهوت عند أغسطينوس

تقدير عقيدة أغسطينوس اللاهوتية – العلاقة الشخصية مع الله – بحث الانسان عن الله – الاتحاد مع الله – الشخصية الانسانية والله – الثالوث – التعاليم المتعلقة بلاهوت المسيح – الخطية والخلاص – التعيين السابق – تأليه المسيحي – تأثير أغسطينوس علي الآخرين – التعليم المتعلق بالكنيسة – لا خلاص خارج الكنيسة – مدينة الله – نظرة أغسطينوس الي التاريخ.

٤ – النزاع مع بلاجيوس (Pelagius)

بيلاجيوس وحرية الانسان – أغسطينوس يهاجم بلاجيوس – الحكم علي البلاجيوسية – كاسيانوس والبلاجيوسية – استمرار الحوار – التأثير المستمر لأغسطينوس.

٨ – المنازعات حول العقيدة في المسيح

ناسوت المسيح ولاهوته

أ – أحداث وشخصيات لمجمع أفسس ٤٣١ م.

١ – أبوليناريوس (Apollinarius)

٢– المدرسة الأنطاكية

ديودورس الطرسوسي Diodorus - ثيودورس أسقف موبسوستيا Theodore of Mopsuestia - نسطورس Nestorius ثيوتوكس Theotokos .

٣ - كيرلس الأول أسقف الاسكندرية(Cyril of Alexandria) (؟ - ٤٤٤م)

شهرة كيرلس - العقيدة في المسيح عند كيرلس - كيرلس ضد نسطورس

٤ - مجمع أفسس

مجمع مضطرب - إدانة نسطوريوس - الإمبراطور يدين الحزبين ، لكن كيرلس ينتصر أخيرا - إتفاق كيرلس والأنطاكيين علي صيغة جديدة بعد أفسس - نسطور والكنيسة النسطورية -التاريخ اللاحق للنسطوريين .

ب - أحداث وشخصيات مجمع خلقيدون ٤٥١ م

إستمرار الحوار حول العقيدة في المسيح - عقيدة أوطاخي في المسيح - مجمع ثان في أفسس - البابا ليو الأول وكتاب " طومس " - ديوسقورس في مجمع أفسس الثاني - الموقف يتغير لصالح ليو - الحكم علي ديوسقورس في خلقيدون - العقيدة الخلقيدونية في المسيح - قانون الإيمان الخلقيدوني - تأثير خلقيدون علي قانون الإيمان المشيخي الوستمنستري - الكنائس غير الخلقيدونية - بيان الأنبا غريغوريوس - طبيعة واحدة - الألوهية والناسوت متحدتان في المسيح - ليست عقيدة أوطاخي - اتحاد حقيقي لكن من غير إمتزاج - مثل إتحاد الروح والجسد - الإختلاف حول خلقيدون اختلاف طفيف - الكنائس الأرثوذكسية الشرقية ترفض عقيدة خلقيدون -

الحاجة الي الإتفاق والإتحاد .

ج – نتائج مجمع خلقيدون

إستمرار النزاع حول العقيدة في المسيح – الإضطهاد البيزنطي في مصر – زينو Zeno والهينوتيكون Henoticon – إحترام غير الخلقيدونيين – ساويرس الأنطاكي – انقسامات أصحاب الطبيعة الواحدة Monophysite – الإمبراطور جوستنيان – الفصول الثلاثة ومجمع القسطنطينية الثاني – يعقوب باراديوس (يعقوب البرادعي) – هرقليوس وعقيدة الإرادة الواحدة (المشيئة) – كورش (المقوقس) الملكاني ، بطريركا – اليونان الأرثوذكس – الأقباط الأرثوذكس .

٩ – التطورات داخل الكنيسة في القرون الرابع والخامس والسادس

أ –الإدارة والنظام

مركز وحياة الأساقفة – إستبعاد الأثرياء من الإكليروس – تأثير العلمانيين – تدهور وضعف تأثير العلمانية .

ب – العبادة

تطورات في العبادة – معني عشاء الرب في الشرق والغرب .

ج – الرفات – الذخائر والقديسون والملائكة

تكريم القديسين – العذراء مريم – الملائكة – نهاية عصر .

ا - قسطنطين والكنيسة

قسطنطين يقوي مركزه :

في سنة ٣١٣ م كان الإمبراطور قسطنطين الذي اتسمت شخصيته بالطموح والإعتقاد بأن السماء قد اختارته لهذا الدور . كان وقتئذ في بداية مسيرة حياته كواحد من أعظم أباطرة الرومان . ففي أعقاب هزيمة مكسنتيوس Maxantius عند جسر ميلفيان، وإتفاق قسطنطين وليسينيوس Licinius في ميلان . أتيحت له فرص جديدة لإحكام قبضته علي الإمبراطورية . وكان مكسيمنيوس Maximinus حاكم الشرق الذي اختلف مع سياسة ليسينيوس وقسطنطين قد هدد بالهجوم بجيش قوي . فتصدي ليسينيوس بموافقة قسطنطين لمكسمينيوس وهزمه بسهولة (أنظر المجلد الثاني) . وترتيبا علي ذلك أصبحت الإمبراطورية مقسمة الآن بين اثنين ، قسطنطين في الغرب وليسينيوس في القسم الشرقي (اليونان وآسيا الصغري) .

ليسينيوس يضطهد المسيحيين :

إستمر السلام لمدة سبع سنوات بين قسطنطين وليسينيوس رغم أن ليسينيوس كان مصيبا في شكه من جهة أطماع قسطنطين في الإنفراد بالحكم . أضف الي ذلك أن ليسينيوس لم يكن مثل قسطنطين في تعاطفه نحو المسيحيين . ولعدة أسباب بدأ ليسينيوس عمليات القمع ضدهم . فطردهم من العمل في القصور الإمبراطورية ، ومن الجيش ، ومن الوظائف الحكومية . وحظر علي الأساقفة عقد مجامع رسمية كما حرم علي الرجال والنساء الإجتماع معا للعبادة بل كان يجب أن تقام كل الخدمات في الهواء الطلق ولم يكن مسموحا للمسيحيين بزيارة السجون . ووصل الأمر في بعض المناطق الي أن يهدم الحاكم الكنائس ويقتل الأساقفة .

قسطنطين يهزم ليسينيوس :

لكن هذه الإجراءات التي اتخذها ليسينيوس ، لم تساعده علي تقوية مركزه ، بل بالحري أعطت قسطنطين المبرر الذي كان ينتظره لغزو القسم الشرقي ، فإجتاحه وأحرز بعد عدة معارك نصرا حاسما . وبعد أن إستسلم ليسينيوس ، ترك حيا بعض الوقت ، لكنه قتل أخيرا في سنة ٣٢٤ م ربما بأمر من قسطنطين .

قسطنطين الحاكم الأوحد :

وهكذا أصبح قسطنطين الحاكم الأوحد للإمبراطورية الرومانية دون منازع . وقد نقش علي القصر الذي شيده لنفسه بعد ست سنوات ، في مدينة القسطنطينية الجديدة السطور التالية :" إن المسيح أعانه لأنه إحترم " الإلهي " وقد أخمد المسيح نار الطاغية ومنح قسطنطين السلطة علي العالم بأسره" .

قسطنطين كان مهيأ لقبول المسيحية :

يمكن تقدير موقف قسطنطين تجاه المسيحيين والكنيسة . عندما نذكر أنه ربما كانت هناك بعض التأثيرات المسيحية في وقت مبكر من حياته . فمع أن أباه قسطنطيوس (Constantuis) كان رجلا وثنيا ، لكنه كان متسامحا مع المسيحيين وكانت لقسطنطين أخت تحمل إسما مسيحيا فريدا هو أناستاسيا ومعناه (القيامة) . بعبارة أخري كان عقله وقلبه مهيأين لقبول الرؤيا السماوية التي رآها قبل المعركة عند جسر ميلفيان ، كما كان معدا لتفسيرها تفسيرا مسيحيا . فلما حاز النصر في اليوم التالي للرؤيا ، صار اقتناعه بهذا الإيمان راسخا. لقد حققت له السماء كل مطامحه السياسية .

هيلانة أم قسطنطين :

كما ينبغي أن نذكر أيضا أم قسطنطين "هيلانه " التي صارت مسيحية بتأثيره وقد اشتهرت بالأعمال الخيرية وزياراتها للأراضي المقدسة . وإرتبط إسم هيلانة بعدد من الكنائس المشيدة هناك . كما يوجد تقليد بأنها إكتشفت الصليب تحت كنيسة القبر المقدس . وتحتفل الكنيسة القبطية يوم ٢٤ مايو بتذكارها كقديسة.

سمات المسيحية عند قسطنطين :

لكن إلي أي مدي كان مسيحيا ؟ هل فهم فعلا طبيعة هذا الإيمان الجديد ؟ لقد تناول الكثيرون من المؤرخين هذا الموضوع في دراسة مستفيضة وجاءت النتائج متضاربة . إن قسطنطين لم يتخلَّ عن عبادته لإله الشمس محتفظا برموز هذا الإله علي العملات النقدية جنبا الي جنب مع شعار المسيحية وهو" الحرفان الأولان من كلمة " خرستوس " أي المسيح في اليونانية "، مما يبين أنه في الواقع لم يفهم تفرد يسوع المسيح بإعتباره ابن الله ورئيس الإيمان المسيحي ، وهناك تمثال في روما لقسطنطين وهو يحمل رمحا عليه صليب منقوش عليه أنه " حرر المدينة من الطغاة بفضل علامة الخلاص هذه". وثمة تمثال آخر له في القسطنطينية وهالة إله الشمس تحيط برأسه ، ثم أن قوس قسطنطين الشهير الذي مازال قائما في روما عليه نقوش لإله الشمس . ومع ذلك يكتب لأسقف قرطاجنة عن " الكنيسة الكاثوليكية القانونية المقدسة " وإستنادا الي مثل هذه الأدلة يلخص الكاتب " كوكران * " Cockrane رايه بالقول : إن الإيمان الغامض بالله عند قسطنطين يجمع بمهارة بين متناقضات عبادة الشمس والمسيحية . كما يقتبس كوكران أيضا عن كيومونت (Cumont) الكاتب الفرنسي هذه العبارة "

---

* Cochrane , Charles Norris , Christianity and Classical Culture , Oxford 1940 P. 216

إنها محصلة غريبة للولع بالفن اللاهوتي المبني علي أساس من " الحلولية " (إلهية الكون) مع الإستعانة ببعض المصطلحات المسيحية أكثر من استعانته بالأفكار المسيحية .

قسطنطين يحسب نفسه مسيحيا :

علي أنه لا جدال في أن قسطنطين كان يعتبر نفسه مسيحيا . فالكثير من أقواله يعكس هذا . فقد كتب إلي موظف رسمي يدعي أبلابيوس (Ablabius) في سنة ٣١٤م يقول :" الله..... قد إئتمنني ...علي حكم العالم كله .. حتي يتسني لي مراقبته ، وهو ينذرنا بكارثة إذا نحن أغضبناه . نعم ، لن أكون آمنا ومطمئنا فعلياً تماما وقادرا علي الثقة في احسانات الله القدير ، التي تمنح مجانا السعادة والخلاص ، حتي يقدم جميع الناس العبادة في وفاق وأخوة إلي الله كلي القداسة حسب طقوس الكنيسة الكاثوليكية آمين . ويقتبس ليتزمان LEITZMAN في كتابه " تاريخ الكنيسة الأولي"(A History of the Early Church Vol 111. P.P157,158) من أقوال الإمبراطور وأحاديثه المختلفة ما يلي :" إنبثقت مساوىء الأمراء والشر لكل العالم من خطأ تعدد الآلهة . لكن مجيء المسيح جلب العدل والسلام علي الأرض حينما أسس الكنيسة كهيكل لأسمي الفضائل . لكن العالم ثار ضدها حتي اندلعت حرب أهلية وقام إضطهاد للمسيحيين " . وأخيرا تلقي قسطنطين" تكليفاً إلهياً لتنفيذ عدالة الله – بتحرير الشعوب من عبودية الشيطان ، والعمل علي توحيدهم في عبادة إله المسيحيين، وهكذا يشفي العالم كله من الجراح القاسية التي عاني منها الناس من قبل " .

عماد قسطنطين وموته :

لم يعتمد قسطنطين الإ وهو علي فراش الموت في سنة٣٣٧ م – الإ أن ممارسة

العماد علي فراش الموت لم تكن بدعة في زمانه ، إذ كان الشعب يعتقد أن العماد في نهاية العمر يضمن التطهير من أكبر عدد من الخطايا . وقد دفن قسطنطين في الكنيسة في القسطنطينية وسط إثني عشر تمثالا تحمل تذكارات الإثني عشر رسولا وكان هذا دليلا علي أن الآخرين كانوا يعتبرونه مسيحيا .

التسامح مع الأديان الأخري :

من ناحية أخري حافظ قسطنطين جديا علي مبدأ التسامح مع الديانات الأخري وكان هذا واضحا في مرسوم ميلان سنة ٣١٣م (أنظر المجلد الثاني) وأعيد تسجيله في المنشور الذي أرسل إلي كل الأقاليم بعد هزيمة ليسينيوس . وبهذه المناسبة يصف قسطنطين تطوره الديني ، ويعترف بأنه مسيحي ، ويمتدح هذا الإيمان للجميع ، لكنه متشدد جدا في القول " لا إجبار لأحد ، فكل إنسان يمكنه أن يعيش بدون حَجْرٍ أو كبت ، طبقاً لمعتقداته الشخصية .

ممثل الله علي الأرض :

وما يستلفت النظرهو أن قسطنطين لم يعتبر نفسة إلها حسب عادة الأباطرة الرومان بل اعتبر نفسه نائبا عن الله في حكم الإمبراطورية.ويوضح يوسابيوس(EUSEBUIS) في كتابه " حياة قسطنطين " هذه الفكرة : " إله الكل " ، الحاكم الأسمي لكل الكون عين بإرادته قسطنطين . . . ليكون رئيسا وسلطانا ، فبينما يرتفع آخرون الي هذه المرتبة بإختيار أنصارهم ، فإنه الإنسان الوحيد الذي لا يمكن لبشر أن يفاخر بأنه كان له يد في رفعته .

المسيحية والإمبراطورية

لقد كان الدين دائما في العقلية الرومانية في خدمة الدولة (فلأي سبب آخر كان الإمبراطور يعبد كإله ؟)والآن أصبح هذا الأمر آكثر وضوحاً فإن قسطنطين بعد إنتصاراته الشهيرة ، أصبح يعتبر وعد الإنجيل وعدا للإمبراطورية بل ولعائلته ، ويبدو أن قسطنطين رأي المسيحية كطلسم أو تعويذة تضمن الدولة بفضلها النجاح الذي فشلت الوثنية في تحقيقه . ويظهر هذا في العبارة الختامية لمرسوم ميلان " إن الفضل الإلهي الذي اختبره عند هذا المنعطف الفاصل في حياته سيستمر الي الأبد يمطر المنافع والفوائد علي خلفائه ، وفي نفس الوقت يضمن السعادة للإمبراطورية .

مشكلة الوحدة في الإمبراطورية

لقد كان موضوع الوحدة السياسية دائما مشكلة كبري في الإمبراطورية الرومانية. فمنذ عصر يوليوس قيصر (١٠٢ - ٤٤ ق. م) وسّعت الإمبراطورية تخومها فإحتلت المزيد من المناطق حول البحر الأبيض المتوسط ، من بريطانيا الي فلسطين ، ومن آسيا الصغري الي شمال أفريقيا . وقد ضمت هذه الرقعة الواسعة العديد من الحضارات واللغات والديانات . وقد جاهد القياصرة والأباطرة الواحد تلو الآخر بالجيوش البرية والأساطيل البحرية ، وطرق المواصلات الشهيرة ، أن يسيطروا علي التوترات السياسية التي كانت تنشأ طبيعيا . هكذا كانت هذه المشاكل تشغل بال قسطنطين كما أقلقت من سبقوه .

المحبة المسيحية تخدم الإمبراطورية :

كان من عبقرية قسطنطين أنه اكتشف في الإيمان المسيحي وسيلة جديدة للوحدة

السياسية . فإن كان هناك ما يمكن أن يحقق السلام في الإمبراطورية ، فهو روح الشمولية والوحدة والمحبة ، وهي الصفات البارزة بوضوح في الكنيسة . ومع أن محبة الإنسان لجاره لم تكن مقصورة علي المسيحيين ، ولكن يبدو انهم مارسوها في ذلك العهد بطريقة أكثر فاعلية من أي جماعة أخري . ويعتبر هارنك Harnak في كتابه انتشار المسيحية (Expansion of Christianity (11 , 145 إن فضيلة المحبة المسيحية هى أقوي الأسباب في انتشار المسيحية . ولقد قدَّر قسطنطين هذه الصفة الفريدة وراح يعمل جاهدا لإستخدامها في خدمة الإمبراطورية .

إهتمام قسطنطين بالكنيسة :

وكان من أقرب المستشارين لقسطنطين " يوسابيوس " (Eusebius) القيصري أسقف قيصرية المؤرخ المسيحي ، و"هوسيوس " (Hosius) أسقف قرطبة ولاكتانتيوس (Lactantius) الفيلسوف الروماني ذو الميول المسيحية . وواضح أيضا أن قسطنطين إهتم بمعرفة شئون الكنيسة ، وكثيرا ما تقابل مع قادتها . وقد حرص علي أن يقول في إحدي المناسبات موجها كلامه الي جماعة من الأساقفة أنتم عينتم أساقفة لشئون الكنيسة الداخلية ، وقد تعينت أنا أسقفا من الله لشئونها الخارجية " .

أما كيف كان يحافظ بدقة علي هذا الوضع ، فمسألة تستحق النظر. لكنه بالتأكيد إهتم بالكنيسة – كما يبدو – بقدر ما إهتم بالإمبراطورية . وشرع في خلق مجتمع ملائم لأن يعيش المسيحيون فيه * .

---

* جدير بالذكر أن الإمبراطور قسطنطين يتمتع بإحترام عظيم من الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية . وتحتفل كنيسة الأقباط الأرثوذكس بذكراه كإمبراطور في ٢٨ برمهات (٦ ابريل) من كل عام .

إصلاحات قسطنطين :

ولتحقيق هذا الهدف أصدر قسطنطين قوانين تحرم بعض الممارسات الوثنية والبربرية فمنعت المصارعات الدموية في الملاعب (ولو انها لم تستأصل تماما الإ بعد ذلك بسنوات كثيرة) وحظر ممارسة السحر وتقديم القرابين الوثنية في البيوت . ولم يعد الأطفال غير المرغوب فيهم يتركون في الصحراء ليموتوا في العراء . كان العبيد في الأزمنة السابقة يوسمون بالكي علي جباههم وقد أصبح هذا الأمر محظورا احتراما لصورة الله . ومع أن الرق ظل قائما لعدة قرون عديدة بعد ذلك إلا أن الشفقة والتقدير أصبحا مفروضين بقوة القانون للعبيد وللحيوانات . وأصبحت قدسية الزواج مصونة . وتعززت حقوق الزوجات تجاه أزواجهن . لكن هذه الإصلاحات لم تنفذ كلها علي الوجه الأكمل ويجب أن يقال أن الإصلاح في مجمله إنصب علي الناحية الإنسانية أكثر مما علي الناحية المسيحية لكن الأولويات تغيرت ، وصارت هناك توجهات جديدة.

امتيازات للكنيسة :

وكان التغيير الجذري هو ما مسَّ حياة المسيحيين . فبعد ان كانوا "معتبرين أعداء الجنس البشري" ، و" ملحدين " ارتقوا الي مستوي الاحترام فوق كل الآخرين وأصبح المسيحيون يختارون للمراكز الحكومية المرموقة. ومنح رجال الدين مراكز اجتماعية متميزة. ولم يعفوا من الضرائب فحسب بل تلقوا أيضا إعانات مالية من الحكومة . * كان في امكان الأساقفة ان يتدخلوا في القضايا المدنية وينقلوها إلي المجالس القضائية الكنسية (مثل المجلس الملي). وكان من حقهم إعتاق العبيد.وأعلنت الكنائس حرما يحتمي به الفارون من العدالة . وقد جذبت هذه

---

* كما اعفوا من الخدمة في مجلس الشيوخ

الامتيازات العديد من المحتقرين والمزدرين الذين ليسوا اهلا للاعتراف بهذا الايمان .لقد صارت الامتيازات مصدرا خطيرا للفساد لدرجة ان الامبراطور نفسه أصدر قوانين تمنع فئات معينة من الشعب من الالتحاق بالخدمة الدينية .

حفظ يوم الاحد – نسخ الأسفار المقدسة – بناء الكنائس :

مع مرور الوقت ظهرت إمتيازات أخري للمسيحيين وللكنيسة . فقد أعلن في سنة ٣٢١م أن يوم الاحد هو يوم العطلة الرسمية . وشجعت الحكومة عملية نسخ الأسفار المقدسة (مع أنه أثناء الإضطهادات صودرت الكتب المقدسة لإضعاف الكنيسة).ونتيجة لذلك تتمتع الكنيسة اليوم بكنوز من أثمن مخطوطات الكتاب المقدس مثل المخطوطة الفاتيكانية (محفوظة في الفاتيكان) والمخطوطة السينائية (في المتحف البريطاني) *التي نسخت باللغة اليونانية في القرن الرابع. كما تميزت نفس الفترة الزمنية بنشاط عظيم في بناء كنائس جديدة علي حساب الحكومة فأعيد بناء كاتدرائية نيكوميديا (Nicomedia) التي كانت قد (تهدمت من قبل في ثورات ضد الكنيسة)كما اعيد بناء الكنيسة الذهبية في أنطاكية .وشيدت كنيسة القبر المقدس وكنيسة بيت لحم* *اما كنيسة القديس بطرس العظيمة وكنيسة القديس بولس الكبيرة فقد تم تشييدهما في روما مع وقف آلاف الجنيهات عليهما ، وكنيسة القديس بولس الواقعة خارج روما اطلق عليها اسم بطريرك الاسكندرية.

---

* وجدت المخطوطة السينائية في دير سانت كاترين علي جبل سيناء .

** كلمة كنيسة هنا هي في اليونانية Bassilica ومعناها " ملك ". وكانت في الأصل قاعة الملك مما يدل علي أن فن عمارة هذه الكنائس الأولي كان يصمم علي مثال البلاط الملكي .

الكنيسة تصبح غنية :

تدفقت الأموال علي خزينة الكنيسة بكميات متزايدة ، ليس من الحكومة فحسب، بل أيضا من خاصة الأفراد الذين كانوا مستعدين أن يتنازلوا عن نصف ممتلكاتهم ضمانا لحصولهم علي الخلاص وصارت الممتلكات الثمينة مصادر للدخل المستمر المتزايد عبر القرون . و كما يقول و.ه.س.فريند " ان ما تجمع من الأموال الطائلة لكنيسة العصور الوسطي إنما كانت بدايته في القرن الذي تلا اهتداء قسطنطين.(The Laymen in Christian History) وقد قدمت هذه الأموال للكنيسة أساسا لتستخدم في سد حاجات المعوزين وقد قال غريغوريوس النازيانزي " يجب أن نتقاسم ثروتنا مع المسيح ، حتي تتقدس ويصبح للفقراء فيها نصيب ". ولكن للأسف لم يكن هذا هو الوضع دائما . فهناك روايات عديدة عن العز والترف اللذين تمتع بهما رجال الدين . فكان الأساقفة يقيمون ولائم وحفلات نافست ولائم الإمبراطور نفسه .

أضرار تلحق بالكنيسة :

يعتقد بعض المؤرخين بأن الخسائر التي لحقت بالكنيسة في عهد قسطنطين أعظم من المكاسب .وكما يقول أحد الكتّاب : " ما كادت الكنيسة تتحرر من ظلم مضطهديها حتي وجدت نفسها في مواجهة تجربة أقسي من مواجهة الأعداء ، وهي حماية الدولة المرهقة والمزعجة (Palanque, J.R. The Church in the Christian Roman Empire, p.69 ومع وجود الكنيسة في حضن الامبراطور وبالرغم من نواياه الطيبة ، ومع تدفق الثروة الطائلة ، والمكانة السامية للكنيسة ، الحرية غير المحدودة كان حتما أن تفقد المجتمعات المسيحية الكثير من بساطتها الأولي وطهارتها الأصلية ولم يكن عدد كبير من القديسين علي مستوي القداسة بدرجة كافية لمقاومة التجارب التي

" الدهماء " ينضمُّون للكنيسة :

وقد ظهرت مشاكل أخري فقد نمت الكنيسة بسرعة، وأصبح الإنضمام إلي الكنيسة مسايرة للموضة . ووجد رجال الدين استحالة في تقديم المعرفة الكافية والمناسبة لهذه الأعداد المتزايدة . وهكذا تدافع جمهور من أتباع الديانات الوثنية كي يتعمدوا وهم لا يعرفون من المباديء المسيحية إلا القشور . وصار الغوغاء من مواطني روما وأنطاكية والإسكندرية مسيحيين بالإسم وليس أكثر . وكانت أعمالهم في بعض المواقف تدل علي العناد والتمرد مثلما كانوا قبل المسيحية .

إزدياد الهرطقات :

كانت الكنيسة منقسمة بالفعل بسبب الهرطقات المختلفة . الا أن المذاهب والشيع تضاعفت بسرعة في الجو الأكثر إنفتاحا في عصر قسطنطين . وقد تحدثنا في المجلد الثاني عن " الإنفصاليين والقوميين والدوناتيين في شمال افريقيا The Schismatic and Nationalistic Donatists of North Africa "لكن علي امتداد الإمبراطورية ترعرعت أفكار قديمة وجديدة حسب الطلب ويقال إنه في مدينة واحدة في آسيا الصغري تواجد المونتانيون Montanist والنوفاتيون Novationists والانكراتيون Encratites والأبوتاكتيون Apotactites جنبا الي جنب ، وكل منها يدعي أنه الكنيسة الحقيقية . وقد اشتمل الكثير من هذه الفرق علي عدد قليل جدا من المتحمسين Enthusiasts ، بعضهم شبه مجانين أو حتي مجرمين .لكنهم كانوا من عناصر مشاغبة ومعارضة لسلطان الكنيسة وسلطة الدولة .في نهاية هذا القرن صنَّف كاتب اسمه فيلاستريوس Filastrius قائمة من ١٥٦ فئة من الهراطقة علي امتداد الإمبراطورية .

الحدُّ من الممارسات الوثنية :

مع أن الإمبراطور أعلن عن الحرية لجميع الفئات الدينية ، إلا أنه صار الأمر أصعب عليه أن يتسامح مع الكثير من الممارسات الوثنية المتطرفة . فعندما سمع عن الفساد العلني في معبد بعلبك في فينيقية (لبنان) أمر بهدمه . كما أن هناك معابد أخري مثل دلفي Delphi في اليونان انتزع منها التماثيل البرونزية والمرمرية والكنوز الفنية الأخري . وقد خاطب قسطنطين الوثنيين قائلا " ليحتفظ المنعزلون عنا بمعابدهم لو أرادوا" ويقال إن هناك من يدّعون أن استخدام المعابد ممنوع عليهم . وإن هذه هي رغبتي للإضرار بالصالح العام . وما يزال هناك مثل هذا الخطأ المؤسف لدي بعض الأشخاص ".

العقلية الوثنية تستمر :

ومع ذلك وبطرق عديدة عاشت الممارسات الوثنية والعقلية الوثنية ولم تمت . وكما أن قسطنطين لم يتحرر تماما من تبجيل إله الشمس ، وهكذا خلط كثير من الشعب علي إمتداد الإمبراطورية – عن وعي أو دون وعي – القديم بالجديد . ولابد أن هذا الأمرما بدا غريبا . ولأنهم اعتادوا علي تعدد الآلهة حيث يمكن أن يتعبدوا لآلهة كثيرة في وقت واحد ، لذلك لم تكن الوصية المسيحية " لا يكن لك آلهة أخري أمامي " مفهومة دائما وقلّما أطاعوها *.

---

* حتي في القرن الخامس قيل أن البابا ليو Leo الخامس زجر العابدين في كنيسة القديس بطرس لما لاحظ أنهم يصعدون درجات السلم ببطء ليقدموا الإحترام لإله الشمس قبل دخولهم الكنيسة ليعبدوا المسيح الله .

تأثير الوثنية علي التقويم :

في الحقيقة إن البقية الضئيلة الباقية من تأثيرالأوثان الرومانية موجودة في التقويم الغربي المستخدم اليوم في اللغات الأوروبية ، وبصفة خاصة في اللغة الفرنسية فقد دعيت أيام الأسبوع بأسماء الشمس والقمر والكواكب التي كان الوثنيون يعبدونها:

أسماء النجوم في العربية	أسماء النجوم في الإنجليزية	أسماء الأيام في الفرنسية	أسماء الأيام في الإنجليزية	ملاحظات
الشمس	Sun	Dimanche	Sunday	
القمر	Moon	Lundi	Monday	
المريخ	Mars	Mardi	Tuesday	إله سكسوني Twi
عطارد	Mercury	Mercredi	Wednesday	Woden " "
المشتري	Jupiter	Jeudi	Thursday	Thor " "
الزهرة	Venus	Vendredi	Friday	Frigg " "
زحل	Saturn	Samedi	Saturday	

كذلك ترجع أسماء بعض الشهور الي الآلهة الوثنية والأباطرة والقياصرة الرومان *

يناير . . . . . من الإله يانس Janus

مارس . . . . . من إله الحرب مارس

يوليو . . . . . من يوليوس قيصر

أغسطس . . . . من أغسطس قيصر

---

* أسماء شهور سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر وديسمبر هي في الأصل الأعداد السابع والثامن والتاسع والعاشر من التقويم الروماني .

نقطة تحول تاريخي

وقد كان لنقطة التحول التاريخي العظيم هذه عدة جوانب بالنسبة للكنيسة والإمبراطورية . وكانت فترة للتغيير المعقد ، لم يتفهمها تماما من شاركوا فيها. فقد ظلت الآثار البعيدة المدي لهذا التغيير الصالح والشرير ، محسوسة لعدة قرون تالية .

إن العالم الذي نعيش فيه اليوم في الحقيقة يشعر بنتائج رسالة السماء التي ظهرت لقسطنطين . بهذه العلامة تنتصر *

---

* تحتفل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بذكري إغلاق الهياكل الوثنية وفتح الكنائس يوم ٤ بؤونه الموافق ١٧ يونيه . وكان بطاركة الإسكندرية في تلك الفترة هما الكسندروس الأول (٣١١ - ٣٢٨ م) ثم أثناسيوس (٣٢٨ - ٣٧٣ م)

Recommended English Readings

1 - Bruce , F.F.**The Spreading Flame** , Paternoster Press England.1978 , pp . 293 - 301 .

2 - Chadwick , Henry -**The Early Church** , Penguin Books , 1976, pp .125-132

3 - Danielou , J. and Marrou , H .**The First Six Hundred Years of The Christian Centuries**) Vol I, Mc Graw - Hill , New York 1964 , pp. 225 - 243 .

4 - Duchesne , Louis -**The Early History of the Christian Church** . Vol 11. John Murray , London , 1922 . 45 - 71 .

5 - Jackson , F . J . Foakes -**The History of the Christian Church to A.D.** 461 , George Allen , London , 1957 , pp. 279 - 288 .

6 - Leitzmann , Hans -**A History of the Early Church** , Vol .111 , Lutterworth , London , 1967 , pp . 137 - 162 .

٣ - الأريوسية ومجمع نيقية

أ – أريوس

عصر جديد في الفكر اللاهوتي

ندخل الآن إلي حقبة من أخطر الحقب في تاريخ الكنيسة . فعلي مدي القرنين الرابع والخامس حسمت قضايا لاهوتية أساسية . وكانت القضية التي ركّز عليها القرن الرابع هي العلاقة بين الله الآب والمسيح الإبن ، واختص القرن الخامس بلاهوت وناسوت الإبن . وقد حسمت أيضا قضية مكان الروح القدس ولو انها كانت قضية فرعية ثانوية في تلك الفترة . ولم تكن هذه القضايا جديدة تماما . فقد أثارها من قبل بصيغة أو أخري لاهوتيون أمثال ترتليان Tertullian من شمال أفريقيا وأوريجانوس من الإسكندرية ، لكن هذه الموضوعات الأساسية الرئيسية لم يتم بحثها ومناقشتها وتوضيحها وتصفيتها حتي حلول القرن الرابع . وليت هذا أمكن إنجازه بلا خصام وانقسام ، لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن . فالواقع أن أريوس Arius (قس أعلن فيما بعد أنه هرطوقي مضلّ) هو الذي بدأ الجدل الذي أدي إلي انعقاد مجمع نيقية المسكوني في سنة ٣٢٥ م .

أريوس

سيم أريوس قسا في الأسكندرية (في سنة ٣١٠ م أو ٣١١ م) وأوكلت إليه مسئولية الكنيسة في بوكاليس Baucalis . يقال إنه كان إنسانا متقشفا ، بسيطا في معيشته رقيقا، لبقا في حديثه ، وكان شخصية محترمة جدا . رسم علي يد ميليتيوس Melitius قائد جماعة المنشقينSchimatic الذين – مثل الدوناتيين من شمال أفريقيا – إرتابوا في تعيين من تنازل عن الكتب المقدسة . حوالي سنة ٣١٨ بدأ

أريوسيون قبل أريوس

هناك خلفية لنشاط أريوس تعود الي وقت أوريجانوس (١٨٥ - ٢٥٤ م) فقد أثار السابليانيون مسألة علاقة المسيح بالآب فيما يعرف بالفكر اللاهوتي الملكي . فقد علّم السابليانيون Sabellius (روما ، القرن الثالث) بأن المسيح كان شكلا أو ظهورا لله الآب. وردا علي موقف السابليين فإن أحد تلاميذ أوريجانوس ويدعي ديونسيوس وهو البطريرك الرابع عشر للإسكندرية(٢٤٦ - ٢٦٤ م) إتخذ موقفا متطرفا قائلا " لم يكن ابن الله واحدا مع الآب بل كائنا آخر مختلفا عن الآب كاختلاف الكرمة عن الكرّام والقارب عن صانع القوارب . الإبن قد " خلق ". ومع أن ديونسيوس عدل عن موقفه فيما بعد ، الا أن تأثيره علي أريوس لا ينكر. وهناك معلم آخر اسمه لوشيان Lucian من أنطاكيه كان له تأثير مباشر أقوي علي أريوس . وكان ينادي بأن المسيح مع أنه كان له وجود سابق إلا أن وجوده لم يكن من قبل كل الأزل . ويقول البعض إن لوشيان هو الأب الروحي للأريوسية .

الفكر اللاهوتي لدي أريوس

من الواضح أن الدافع لأريوس هو الحفاظ علي كمال الله الآب وسرمديته وألوهيته. وفي نفس الوقت نسب دور هام للمسيح الإبن ، يفرزه عن الآخرين. علي أن أريوس لم يستطع أن يقبل وجود تغيير أو انقسام في الله الآب الذي كان الجوهر النهائي ، وهو في ذاته غير مدرك . هذا التفسير الأفلاطوني الحديث للذات الإلهية جعل الله بعيدا لا يمسه شيء زمني أو جسداني . ولذلك فطبقا لرأي أريوس فإن :" الكلمة " Logos (المسيح) ، مهما سما فوق باقي الخليقة فهو كائن مخلوق أوجده الله ولذلك له بداية " وفي وقت ما لم يكن له وجود " . ولذلك أيضا كان الإبن من جوهر آخر غير جوهر الآب . إن وجود اللوغوس الكلمة ليس وجودا حتميا ، لكنه نتيجة

لفعل اختياري حر من الآب خالق الكلمة " اللوغوس " . وكمخلوق زمني كان الكلمة " اللوغوس " خاضعا للتغيير. كان إلها لكن ليس في نفسه ومن نفسه . فهو يستمد ألوهيته من الآب . فإن كان اللوغوس حائزا لحكمة الآب وقوته ، فالأمر ببساطة أن الآب منحه هذه الصفات . لذلك قد يكون للإبن صفات إلهية لكن بدون مشاركة كاملة في اللاهوت الجوهري ذاته . وعلي حسب قول أريوس ما كان " الكلمة " في حاجة إلي أن يكون ذا جوهر إلهي لكي يملأ العالم بمعرفة حقيقية عن الله وينقل معرفة صحيحة للفضيلة.

نظرية أريوس عن المسيح ككائن وسط

وقد بدا طبقا لرأي أريوس ، أن المسيح لابد إذاً أن يكون كائنا وسيط tertium quid أعظم من الإنسان وأقل من الله . ومن خلال المسيح خلق الله بقية الكائنات ، وهذا يعني أيضا أن الله الآب قد أصبح أكثر بعدا ولا يدني منه . وقد أدي رأي أريوس - أن المسيح كائن وسيط - إلي إنكار الغاية الحاسمة في استعلان " الكلمة " في شخص المسيح . وفي عبارة صاغها أريوس بنفسه يقول " كلمات كثيرة نطق بها الله ، فأي من هذه الكلمات نسميها الإبن الوحيد ؟ " ونتيجة لذلك فتح الباب مرة أخري لتعدد الآلهة بكل كائناتها الوسطي " - آلهة - أنصاف آلهة - جان - وشياطين.

أريوس يستعين بالنصوص الكتابية

وكما يحدث في كل جدل لاهوتي تمكن أريوس من دعم موقفه بهذه الآيات من الكتاب المقدس :

"الرب قناني أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم"

(أم ٨:٢٢)

" فليعلم يقينا جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربا ومسيحا " .

(أع ٢:٣٦)

" الذي هو صورة الله غير المنظور ، بكر كل خليقة . فإنه فيه خلق الكل ما في السموات وما علي الأرض ، ما يري وما لا يري ، سواء كان عروشا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين . الكل به وله قد خلق

(كولوسي ١:١٥و١٦)

" بعدما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي ، صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث إسما أفضل منهم ".

(عب ١ : ٣ و ٤)

" لاحظوا رسول إعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع حال كونه أمينا للذي أقامه"

(عب ٣ : ١و٢)

عزل أريوس وذهابه إلي قيصرية

لما نشر أريوس تعليمه حول الإسكندرية وجذب إليه أتباعا من داخل الكنيسة، إتخذ إسكندر أسقف الإسكندرية خطوات للحد من هذه الحركة . فدعا مجمع الإسكندرية للإنعقاد في محاولة لتسوية المشكلة بهدوء . إلا أن هذا أدي لمزيد من الخلاف . فقد جمع أريوس رفاقه وأتباعه وتحدي سلطة اسكندر. وعندما إتسع الجدل نجح الأسقف اسكندر يسانده مائة من قادة الكنيسة ، في عزل أريوس وكثيرين من أتباعه . وبرغم أن أريوس لم يكن منفيا ، الا أنه سافر الي قيصرية حيث استغل مساعدة يوسابيوس أسقف نيقوميدية الذي تعاطف مع الأريوسية وكان ذا نفوذ عظيم في الكنيسة في الشرق .

سجال المراسلات

عندئذ بدأت حملة مكاتبات علي نطاق واسع حث فيها الأسقف يوسابيوس جميع أصدقائه أن يعيدوا النظر في قرار كنيسة الإسكندرية . فرد الأسقف اسكندر بنفس الكيفية واصفا تعليم أريوس بأنه شيء منفر وأكثر ضررا من هرطقات الماضي ، وأنه يمهد الطريق الي المسيح الدجال - ضد المسيح - وأقنع أساقفة آخرين بالتوقيع معه علي الرسالة .

المعركة تصبح عامة

وبمساعدة الأسقف يوسابيوس انعقد مجمع في بيثينية بآسيا الصغري للموافقة علي وجهة نظر أريوس ، ومطالبة الأسقف إسكندر بأن يعدل عن موقفه . حينئذ رجع أريوس للإسكندرية ليشرع في حملة جديدة بنفسه .وتم توزيع النشرات ووضع الأغاني العامة لتعليم الشعب(سواء أدركوا المعني اللاهوتي أم لا).وقد كتب أريوس قصيدة شعرية طويله ،اسمها تاليا Thalia ، يمتدح فيها أفكاره .ويقال إن المعركة أصبحت حديث الساعة في شوارع الإسكندرية .وأن النكات كانت تطلق عليها في المسارح والملاهي الوثنية .

قسطنطين يكتب لأريوس واسكندر

كان الإمبراطور قسطنطين قد انتصر حديثا علي " ليسينيوس " آخر منافس له في الإمبراطورية . وإغتمّ عندما علم بوجود خلافات في الكنيسة . فكتب خطابا مشتركا عاما لأريوس واسكندر وأرسله بيد " هوسيوس" Hosius أسقف قرطبة Cordova وهو واحد من أقرب مشيريه في شئون الكنيسة . ولما كان الإمبراطور غير

مقدر تماما لخطورة الموضوع ، حاول أن يهون من شأنه فكتب قائلا " إنه بعد أن تقصي بعناية ودقة أصل وأساس هذه الخلافات " وجد " أن السبب في الحقيقة شيء تافه ولا يستحق مثل هذا النزاع الشرس " وأضاف أن المناقشة يجب أن يقصد بها مجرد رياضة عقلية وألا تعرض بتسرع في الإجتماعات الشعبية والعامة وألا يعهد بها إلي أذن المجتمع بدون تعقل ."

هوسيوس يقنع الإمبراطور

علي أن هوسيوس سرعان ما أدرك أن الموقف أخطر بكثير مما ظن الإمبراطور . ولما رجع إلي نيكوميديا حيث كان قسطنطين مقيماً أقنع الإمبراطور بأن الموقف يستدعي خطوات أكثر حسماً من مجرد كتابة الرسائل والمساجلات المكتوبة .

ب – نيقية

مجمع في أنطاكية

عند عودة الأسقف هوسيوس من الإسكندرية دعا إلي عقد مجمع في أنطاكية والقليلون الذين حضروا الإجتماع كانوا من المقتنعين برأي أريوس ، ولم يحضر أحد من مصر . لذلك كان من السهل الوصول إلي رأي يدين الأريوسية . فقد أعلنوا أنه ما دام المسيح كان " مولودا " (وليس مخلوقا) ، لذلك فإنه من نفس طبيعة الآب .

دعوات من الإمبراطور

في هذه الأثناء ، كان قسطنطين قد قرر الدعوة إلي مجمع يضم كل الكنيسة ، فأرسلت الدعوات علي نطاق واسع . ودفعت مصاريف الإنتقال من خزينة الدولة ، وتم

حجز عربات البريد الملكية لسفر أعضاء المجمع . وتختلف التقارير حول عدد الحاضرين فهو علي أقل تقدير ٢٥. وربما كان ٣١٨ عضو وقد تم تسجيل أسماء ٢٢. عضو(في الواقع لو بلغ العدد ٣٠٠ لأصبح سدس مجموع أساقفة العالم كله البالغ عددهم ١٨٠٠ أسقف في كل الكنائس في ذلك الوقت) . وقد جاء معظم المندوبين من آسيا الصغري وسوريه وفينيقية وفلسطين . وكان هناك وفد قوي من مصر مكون من عشرين عضوا وعلي رأسهم البطريرك اسكندر.وحضر ضمن المندوبين القديس بافنوتي Paphnuti والقديس بوتامون Potamon والشماس أثناسيوس ولم يزد عدد القادمين من روما علي ستة أعضاء .

مندوبون إلي نيقية

من الأسماء الشهيرة كان هناك : هوسيوس Hosius أسقف قرطبة ، وسبيريديون Spıridion راعي الأغنام – أسقف قبرص ، ويوستاثيوس Eustathius أسقف أنطاكية ، وأسقف مبشر من القوط " The Goths " وقد جاء بعضهم حاملا آثار الإضطهادات الحديثة . فبولس أسقف قيصرية الجديدة فقد كلتا يديه بسبب التعذيب .كما فقد أسقفان من مصر البصر .أما بفنوتيوس Paphnutius وهو راهب وتلميذ للقديس أنطونيوس ففقأوا إحدي عينيه وأصابوا قدميه فأصبح أعرج ، وذلك أثناء الإضطهاد الأخير علي يد مكسيمين Maximin . ويخبرنا يوسابيوس المؤرخ أن الإمبراطور قسطنطين كان يحرص علي إحتضان بافنوتيوس وتقبيله في مكان عينه المفقودة . *

---

* بفنوتيوس مشهور بدفاعه عن حق رجال الدين في الزواج مع أنه هو نفسه كراهب عاش طول حياته أعزب ففي رأيه أن الزواج المسيحي للإكليروس لا يتعارض مع عهد العفة الذي يتخذه الآخرون . واحتج بأن فرض الأمر علي كل رجال الإكليروس يؤدي الي الإنحراف ويعود بالضرر علي الكنيسة .

نيقية ، أول مجمع مسكوني

لقد إنعقد العديد من المجامع والمؤتمرات والسنودسات قبل نيقية.لكن مجمع نيقية كان أول مجمع موسّع للكنيسة أي أنه أول مجمع مسكوني . كانت هيبة الإمبراطور هي السبب في عقد المجمع كما أن حضوره كحاكم صاحب سلطة أدي للوصول إلي القرارات التي صار لها حينئذ صلاحية في نطاق الدولة كما في داخل الكنيسة . ومن أجل الإمبراطورية إهتم قسطنطين بالسلام والوحدة داخل الكنيسة . فقد أراد للكنيسة أن تكون ترجمة مثالية للإمبراطورية . فالكنيسة ، عند قسطنطين يجب أن تعكس وضع الإمبراطورية علي أحسن صورة - في الإنسجام ، والهدوء والصفاء ، والنمو في الوحدة. ومن ثم فقد أراد أن يتحكم في سياسة الكنيسة فيما يختص بصحة المعتقد والهرطقة. ومع أنه نفسه لم يدّعي أنه علي دراية متميزة وفريدة في الأمور اللاهوتية - وأذعن لحكم الأساقفة إلا أن نفوذ قسطنطين هو الذي حسم القرار الأخير

قسطنطين يحضر الجلسة الإفتتاحية

يقول يوسابيوس القيصري في كتابه " حياة قسطنطين " ٣ : ١٠ - ١٤ "Life of Constantine في وصفه لجلسة الإفتتاح في نيقية يوم ٢٠ مايو سنة ٣٢٥ م في القاعة الكبري للقصر جلس الأساقفة عن اليمين وعن اليسار. ودخل الإمبراطور مصحوبا فقط بمجموعة ضباط مسيحيين وكان يرتدي عباءة أرجوانية فاخرة مرصعة بالذهب والجواهر " متألقا براقا كأحد ملائكة الله في السماء ". ووقف أمام كرسيه ولم يجلس حتي أشار اليه الأساقفة بالجلوس ، وبعد كلمة ترحيب من يوسابيوس أسقف نيقوميدية أجاب الإمبراطور بكلمة باللغة اللاتينية (ترجمت بعدئذ إلي اليونانية) .

وقال إنه لم يرغب في شيء أفضل من أن يوجد في وسطهم وأنه يتألم إذ يري انقساما وخصاما داخل الكنيسة ، فهذا شر أردأ من الحرب ، وتمني أن النجاح الذي تم بالنصر الحربي علي الطغاة ، يتبعه الآن النصر للكنيسة ، وأن تبلغ الكنيسة الوحدة وتصبح قلبا واحدا وروحا واحدا وتهب العالم كله السلام والوئام والإنسجام ، ثم أخذ قسطنطين حزمة من الخطابات التي كتبها له كثيرون من الأساقفة وأحرقها أمام أعينهم .

الفرق الثلاث في نيقية

ليس لدينا سجل عما جري في جلسات مجمع نيقية . فقد دارت المساجلات لعدة أيام ، بين أريوس ويوسابيوس أسقف نيقوميدية وأتباعه من طرف ، واسكندر أسقف الإسكندرية ورفاقه من الطرف الآخر .وظهر فريق ثالث بقيادة يوسابيوس القيصري أسقف قيصرية ومؤرخ الكنيسة ، وجاء بصيغة حاول بها أن يحل المشكلة لكنه فشل في تقدير الموضوع الرئيسي .

قانون الإيمان ليوسابيوس

" نؤمن بإله واحد الآب القادر علي كل شيء ، ضابط الكل ، خالق كل الأشياء، ما يري وما لا يري ." وبرب واحد يسوع المسيح ، كلمة الله ، إله من إله ، نور من نور ، حياة من حياة، الإبن الوحيد - المولود - بكر كل الخليقة ، مولود من الله الآب قبل كل الدهور ، الذي به خلقت كل الأشياء ، الذي تجسد لأجل خلاصنا ، وعاش بين الناس وتألم ودفن وقام في اليوم الثالث ، حسب الكتب المقدسة ، وصعد إلي السماء جالسا عن يمين الآب ويأتي ثانية في مجد ، ليدين الأحياء والأموات ، الذي ليس لملكه نهاية ." ونؤمن أيضا بالروح القدس الواحد " .

هوموأوسيوس Homoousios (من ذات الجوهر)

كان هذا القانون صحيحا تماما ويمكن قبول الأريوسيين له ، الأمر الذي بالطبع لم يرض الأسقف اسكندر وفريقه . وعند هذه النقطة تم اقتراح عبارة "هوموأوسيوس " هذا الإقتراح من الإمبراطور نفسه حسب كلام يوسابيوس المؤرخ ومعناها " من نفس الجوهر أو الطبيعة " وبذلك صارت العبارة ضد تعليم أريوس بوضوح .

قانون الإيمان الأخير مع الأناثيما

" نؤمن بإله واحد الله الآب كلي القدرة ، خالق كل الأشياء ، ما يري وما لا يري ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ، إبن الله ، المولود من الآب ، إله من إله ، نور من نور، إله حق من إله حق ، مولود ، غير مخلوق ، من ذات الجوهر مثل الآب ، به خلق الكل ، ما في السموات وما علي الأرض ، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل وتجسد وعاش بين الناس ، الذي تألم وفي اليوم الثالث قام ، وصعد الي السموات ، ويأتي ليدين الأحياء والأموات ." ونؤمن بالروح القدس " .

الأناثيما أي الحرم

ثم جاءت بعد ذلك كلمات الأناثيما كالآتي :

" أما أولئك الذين يقولون ، انه (المسيح) في وقت من الأوقات لم يكن موجودا، وأنه قبل أن يولد لم يكن موجودا ، وأنه جاء إلي الوجود من العدم ، أو الذين يتمسكون بأن إبن الله من جوهر آخر ، أو أنه مخلوق ، أو أنه قابل للتغيير أو أنه خاضع للتغيير والتبديل - أولئك ، تعلن الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية أنهم ملعونون محرومون " .

القانون النيقوي لمجمع القسطنطينية

لم يستمر القانون السابق في الكنيسة طويلا . وقد صيغ قانون الإيمان النيقوي المستخدم حاليا في الكنيسة - في وقت إنعقاد مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م وأحيانا ينسب قانون نيقية الرسمي بطريق الخطأ الي مجمع القسطنطينية المنعقد في سنة ٣٨١م. لكنه اليوم مقبول في كل أفرع الكنيسة - الأرثوذوكس ، والكاثوليك والبروتستانت. وجدير بالذكر أن الكنيسة الأرثوذوكسية اليونانية تحتفل بذكري مجمع نيقية يوم الأحد السابق علي عيد العنصرة . الكنيسة القبطية الأرثوذوكسية تذكر قانون نيقية يومي الجمعة والأحد من كل أسبوع في خدمة القداس وفي كل خدمة ليتورجيا (القداس) .

التوقيع علي القانون مع بعض التحفظات

بعد أن أقر الأساقفة المجتمعون نص قانون الإيمان الجديد طلب الإمبراطور منهم أن يوقعوا عليه . وقد وقع عليه معظمهم لكن مع بعض التحفظات . وقد أرسل يوسابيوس القيصري إلي كنيسته في قيصرية يبرر فيه الخطوة التي إتخذها في خطاب دفاعي قوي ومع أنه لم يكن سعيدا تماما بذلك إلا أنه وقع عليه من باب الإحترام للإمبراطور ولأجل السلام داخل الكنيسة . أما يوسابيوس أسقف نيقوميديه وشخص آخر فرفضا التوقيع علي الأناثيما في ذيل القانون وأما أريوس واثنان من أخلص مؤيديه وهما سيكوندس Sacundus من بتوليمايس Ptolemais ، وثيوناس Theonas من مارماريكا Marmarika فقد تم طردهم من مصر ونفيهم منها . واتخذوا بعد ذلك من بيثينية في آسيا الصغري ملجأ لهم .

انقسامات أساسية فى نيقية

مع أن نيقية أسفرت عن صورة للوحدة ، إلا أنه كان هناك الكثير من سوء الفهم والمرارة والكثيرون لم يدركوا بالحقيقة الموضوعات اللاهوتية . وحسب وصف سقراط المؤرخ Socrates قال " إن ما حدث يشبه معركة في الظلام ، لا أحد يعرف إذا كان أصاب صديقا أم عدوا ، ولم تشعر المجموعة الرئيسية الكبري بزعامة يوسابيوس بالإرتياح واشتهروا أخيرا بأنهم شبه أريوسيين . أما الأريوسيون المتطرفون المتمسكون في اقتناعهم التام بموقفهم قد عرفوا بأنهم Exukontians من الكلمة اليونانية التي تعني " من فراغ أو من اللاشيء ".

كراهية قسطنطين لأريوس

مع أن قسطنطين الذي لم تكن المسائل اللاهوتية واضحة أمامه مطلقا قد إقتنع برأي يوسابيوس أسقف نيكوميديا حول إعادة النظر في أفكار أريوس ، إلا أنه لم يهتم بأريوس مطلقا حتي سنة ٣٣٢م كان يكتب هكذا " إذا اكتشفت رسالة كاتبها أريوس فليكن مصيرها النار ..حتي لا يترك أي ذكري له مهما كانت ..... وإذا قبض علي أي شخص يخفي كتابا لأريوس ولا يظهره ويحرقه علي الفور ، فعقابه الموت ، وتنفَّذ فيه العقوبة فور ثبوت الجريمة ".

أهمية نيقية

لقد تأسي الكثيرون وحزنوا علي مجمع نيقية بسبب المرارة والإنقسام الذي حدث في الكنيسة . فهل كان يلزم أن تناضل الكنيسة بهذه الشراسة حول حرفين في كلمة " هوموأوسيون " Homoousion " ؟ ومع ذلك يجب ألا نتجاهل أن الموضوع محل النقاش لم يكن تافها ولكنه بالحري قضية لاهوتية أساسية لمستقبل الكنيسة . فلو أن

الأريوسية كسبت المعركة يومئذ ، لصارت المسيحية شيئا مختلفا تماما عما هي عليه اليوم . لكن كم تمني المرء نهاية للصراع أبسط وأكثر سلاما وتتناسب مع قول الرب لفيلبس :" أنا معكم زمانا هذه مدته ولم تعرفني يافيلبس ؟ الذي رآني فقد رأي الآب " (يوحنا ١٤ :٩) .

قرارات حول المنشقين Schismatios وتاريخ عيد القيامة

لقد تم في نيقية تقنين أمور أخري كثيرة أقل إثارة للجدل وتشريعها بإصدار عشرين قانونا كتابيا . فالميليتيون The Meletians ، مثل الدوناتيين The Donatists إنشقوا لأنهم رفضوا الإعتراف برسامة الأساقفة الذين إستسلموا أثناء الإضطهادات . وقد سمح للميليتيين بالعودة إلي الإسكندرية بشرط أن يخضعوا للأسقف اسكندر وقد إحتفظ ميليتيوس نفسه Meletiu بلقب أسقف لكن لم يعد في إمكانه القيام بتعيين آخرين .وأصبح لجماعة النوفاتيين The Novationists إمتياز مشابه. وقد وافقت الكنيسة في الغرب في آرلز Arles علي وضع تاريخ عيد القيامة . وقد قبلت القرار أيضا الكنيسة في الشرق (الفرق الحالي بين الشرق والغرب مرتبط بالفرق بين التقويمين الجوستينياني والجريجوري (أنظر المجلد الأول صفحة ٩٢) .

قرارات حول إدارة الكنيسة

لقد تقررت قواعد هامة تختص بإدارة الكنيسة . فقد اتفق علي وجوب تكوين هيئة سنودسية واضحة المعالم تحت رئاسة أسقف المدينة العاصمة - أي المطران. وعلي السنودس أن ينعقد بإنتظام مرتين في السنة وفي قضايا التأديب بقطع العضوية ينبغي الوصول إلي الحكم فيها بواسطة محكمة . يتم إنتخاب الأساقفة وتنصيبهم بمعرفة كل أساقفة الإقليم بعد أخذ أصوات الرعية وموافقة المطرانية . الكهنة

والأساقفة ممنوع عليهم التنقل من أبرشية إلي أخري بمقتضي مبادراتهم الشخصية . وقد وضعت معايير صارمة للحياة اليومية لكل الإكليروس . وقد لاحظ المؤرخون أن النظام الدستوري للكنيسة اتجه إلي الأخذ من دستور الدولة الرومانية . يضاف إلي ذلك أن قرارات نيقية لها قوتها في الدولة مثلما لها قوتها في الكنيسة .

الجلسة الختامية

أسفر مجمع نيقية عن إصدار عدة رسائل بالإضافة إلي قانون الإيمان وعشرين قانونا ولائحة كنسية تم توقيعها كلها رسميا يوم ١٩ يونيه سنة ٣٢٥م . وفي الجلسة الختامية جمع الإمبراطور الأساقفة وخاطبهم فحثهم علي أن يحافظوا علي سلام الكنيسة والإمبراطورية ، وأن يذكروه دائما في صلواتهم . وفي شهر يوليو من نفس العام اعد قسطنطين مأدبة كبري لكل الأساقفة احتفالا بالعيد العشرين لحكمه (نودي به امبراطورا في سنة ٣٠٦ في يورك بانجلترا) *

الكنيسة والدولة معا

هكذا في سنوات قليلة قصيرة (حوالي ١٥ سنة) تقدمت الكنيسة المسيحية من وضعها كهيئة دينية محتقرة ومضطهدة وملحدة (في نظر الآخرين) إلي أن صارت لصيقة بالإمبراطور الروماني نفسه .

---

* تحتفل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بذكري مجمع نيقية يوم ٩ هاتور (١٨ نوفمبر)

Recommended English Readings

1. Boer, Harry R. -**A Short History of the Early Church,** Eerdmans, Grand Rapids, Mich, 1976, pp. 106-111

2. Bruce, F.F. -**The Spreading Flame**, pp. 302 - 308.

3. Danielou,J.-**The First Six Hundred Years,** (Vol.1)and Marrou, H. of the Christian Centuries, pp. 249-253

4. Frend,W.H.C.-**The Early Church,** Hodder and Stoughton, London,1971, pp. 147-155.

5. Jackson, F.J. -**The History of the Christian Church**, to Foakes A.D. 461, pp. 297-316.

6. Latourette, K.S. -**A History of Christianity, Harper**, N.Y. 1953, pp. 153-157.

7. Leitzmann, Hans -**A History of the Early Church**, Vol. III, pp. 94-122.

8. Schaff, Philip -**A History of the Christian Church,** Eerdman's (republishing of Scribner's 1910 edition, Vol. III, pp. 618-632.

9. Seeberg, Reinhold -**Textbook of the History of Doctrines,** Baker,Grand Rapids, Mich. Vol. I, pp. 201-206, 216-218.

10. Walker, Williston -**A History of the Christian Church,** Scribner's,N.Y. - 1970, pp. 106-111.

٣ - الجدل الأريوسي بعد نيقية ودور أثناسيوس

أ – من نيقية (٣٢٥م) حتي وفاة قسطنطين (٣٣٧م)
تحفظات حول نيقية

مع أن مجمع نيقية يعتبر أحد المعالم الخطيرة في تاريخ الكنيسة إلا أن قراراته لم تحسم الخلافات حسما نهائيا . وكما رأينا ، فحتي الذين وقعوا علي القرارات واللوائح كانوا ذوي اتجاهين فكريين . وواضح جدا أن يوسابيوس أسقف نيكوميديا ، ولو أنه وقّع علي القانون ، لكنه كان في الواقع مقتنعا بالرأي الأريوسي ، وكذلك لم يكن يوسابيوس أسقف قيصرية – وهو شبه أريوسي – لم يكن مستريحا للرأي الأرثوذوكسي علي النقيض الآخر . وكان يوسابيوس أسقف نيكوميديا هو الذي نجح أكثر من أي شخص آخرفي إقناع الإمبراطور بإعادة النظر في الفكر الأريوسي مرة ثانية.

الأريوسيون يهاجمون يوستاثيوس

لقد هاجم يوسابيوس في البدء يوستاثيوس Eustathios أسقف أنطاكية الأرثوذوكسي (المؤيد لنيقية) والذي كان ينتقد الأريوسيين بشدة ، وقد انتقد يوستاثيوس من قبل الفكر اللاهوتي لدي أوريجانوس . علاوة علي ذلك كانت أفكاره عن علاقة الله الآب بالمسيح الابن قريبة جدا من أفكار بولس اسقف سامسطة Samosta حيث كان يعتقد أن اللوغوس " الكلمة " خاضع للآب وأقل مرتبة منه . لكن أخطر الاتهامات الموجهة ضد يوستاثيوس انهم زعموا انه علي علاقة بامرأة ساقطة وأنه أهان هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين أثناء زيارتها للأراضي المقدسة سنة ٣٢٦م . فاجتمع مجمع لخلعه ، وقام الإمبراطور بنفيه الي تراكية Thrace وبهذه الطريقة تمت إزاحة واحد من أقوي مناهضي الأريوسية نفوذا.

أريوس يكسب عطف الإمبراطور

بعد هذه الحادثة سرعان ما ناشد أريوس وأتباعه الإمبراطور العطف والصفح. ويقال إن قسطنطيا Constantia أخت الإمبراطور كانت تساندهم . ولما كان الإمبراطور مقتنعا بوجوب إعادة النظر في القرار ، دعا إلي انعقاد مجمع ثان في نيقية سنة ٣٢٧م . وكان معظم من حضروه من الأريوسيين أو أنصاف الأريوسيين . وأعد أريوس قانون إيمان مشابها لقانون إيمان نيقية ، لكنه حذف الكثير من التعبيرات المتنازع عليها. كما أكد لقسطنطين أنه قد قبل قانون إيمان نيقية . فأعيد إلي مركزه الأول مع زميليه . وكتب الإمبراطورللأسقف اسكندر في مصر عن أريوس ، يوصي بأن يقبله ثانية في المنصب الإكليركي الكهنوتي ، وأوصي أيضا بقبول جماعة الميليتيين The Meletians اما كيف كان رد الفعل من الأسقف اسكندر علي هذه القرارات ، فلا علم لنا به . ويحتمل أنه لم يقرأ خطاب الإمبراطور علي الاطلاق لأنه مات في ابريل سنة ٣٢٨م.

أثناسيوس يخلف الكسندر

كان أثناسيوس سكرتيرا لإسكندر وخليفة له ، وهو بالتأكيد الشخصية البارزة من الأكليروس في القرن الرابع . وكان أثناسيوس قد رافق اسكندر الي نيقية وكان المتحدث الرسمي البليغ المدافع عن الرأي الأرثوذوكسي . وقد اختير أثناسيوس للأسقفية في يونية سنة ٣٢٩م بسبب شعبيته بين الناس أكثر من كونه محبوبا جدا من الأساقفة الآخرين وقد قيل أن جمهور الشعب كانوا يهتفون "إنه انسان فاضل ومستقيم، زاهد وأسقف بمعني الكلمة " وعن قدراته ومهارته لا تسأل ، فقد وقف شامخا متفوقا علي كل رجال الكنيسة في زمانه في فهم جوهر الموضوعات اللاهوتية وفي الدفاع عن الفكر النيقوي ضد أعدائه كما كان له نصيب كبير في الحد من تطرفات حركة الرهبنة والحفاظ عليها في نطاق الكنيسة . لكنه لم يستطع أن يري الإ القليل أبعد من استقامة قضيته . فقد كان صعبا ومدققا في معاملاته داخل الكنيسة ولم يكن متسامحا مع معارضيه وسنناقش فيما بعد كتاباته الهامة التي هاجم فيها

الأريوسية مدافعا عن القانون النيقوي . *

الأريوسيون والميليتيون ضد اثناسيوس في مجمع صور

من اول الاجراءات التي اتخذها اثناسيوسِ أنه رفض طلب الإمبراطور إعادة أريوس والميليتيين إلي مراكزهم الأولي . وفي إجتماع خاص مع قسطنطين ، آثر أثناسيوس عليه حتي أن قسطنطين لم يصر علي إذعان أثناسيوس له . لكن سرعان ما بدأ الأريوسيون والميليتيون - بعد تحالفهم معا - التآمر علي اثناسيوس . وكان أثناسيوس قد تعامل مع الميليتيين بعنف وشدة ، وكتب أيضا بإسلوب جاف عن أريوس واذ سعي الإمبراطور لإيجاد سبيل بين الطرفين حفاظا علي السلام ، دعا إلي التئام مجمع في مدينة صور في سنة ٣٣٤م ومع أن أثناسيوس حضر ومعه ثماينة وأربعون من أساقفة مصر ، لكن الأريوسيين سيطروا علي الجلسات التي رأسها يوسابيوس أسقف قيصرية ويوسابيوس أسقف نيكوميديا.

الاتهامات ضد أثناسيوس وعزله

وجهت إلي أثناسيوس إتهامات مختلفة بعضها قديم وهي أنه حاول فرض ضريبة علي المصريين ليمدوا رجال الأكليروس بثياب الكهنوت ، وأنه حاول أن يرشو أحد موظفي الحكومة ، وأن إنتخابه أسقفا تم بطريقة غير نظامية ، وأنه أمر بتدنيس المذبح في كنيسة للميليتيين ، وأنه قتل الأسقف الميليتيني أرسانيوس Arsinius وقد ثبت أن معظم هذه الاتهامات باطلة وزائفة . فقد تم إثبات أن الأسقف القتيل كان حيا وذلك بإحضاره إلي المجمع . لكنه كان قد عومل معاملة قاسية بأمر أثناسيوس . وكان هناك

---

* لا نعرف عن حياة أثناسيوس في سنواته الأولي سوي القليل ، وقد كان أبواه من الأثرياء . كان مصري المولد يوناني الثقافة . تعلم في مدرسة الإسكندرية الجدلية الشهيرة .

بعض الحق في الاتهامات الأخري ، خصوصا الإتهام بخشونة معاملته للميليتيين . فأرسل المجمع إلي مصر وفدا مواليا للأريوسيين لتقصي الحقائق ، وكما كان متوقعا عاد الوفد بتقرير ضد أثناسيوس . عندئذ أعلن المجمع عزل أثناسيوس علي أساس تدنيس المقدسات وخلل أسلوب انتخابه أسقفا . والجدير بالملاحظة أن القضية ضد أثناسيوس ارتكزت علي أمور غير لاهوتية .

نفى أثناسيوس إلى بلاد الغال (فرنسا)

قدم أثناسيوس إلتماسا شخصيا يائسا إلي قسطنطين الذي كان قد انتقل إلي القسطنطينية . وكان الإمبراطور ، كسابق عهده ، ميالا إلي التعاطف معه . لكن يوسابيوس أسقف نيكوميديا ، الذي توقع مثل هذه المحاولة ، وجه الي أثناسيوس تهمة أخيرة مذهلة ، أنه سعي لمنع شحن القمح من الاسكندرية إلي القسطنطينية العاصمة *. وهذا ما لم يحتمله الإمبراطور الذي نفي أثناسيوس علي الفور الي الشمال إلي ترير Triar في بلاد الغال (فرنسا) . وذلك يوم ٧ نوفمبر سنة ٣٣٥ م .

إنتقال المجمع إلى أورشليم

في هذه الأثناء كان المجمع قد إنتقل من صور إلي أورشليم لتكريس كنيسة"بازيليكا " Basilica جديدة - هي كنيسة القبر المقدس" **. واحتفالا بمرور ثلاثين سنة علي حكم قسطنطين . بناء علي ذلك أعيد أريوس إلي وظيفته في نفس المناسبة . وأرسل خطابا بهذا المعني إلي الكنيسة المصرية .

---

* في الواقع كان في نطاق سلطة بطريرك الإسكندرية أن ينفذ مثل هذا الأمر . فقد كانت القسطنطينية تعتمد تماماً علي سفن القمح من مصر التي كانت تمدها بنحو ثمانين الف أردب قمح يومياً .

** هذه الكنيسة تعرف أيضاً بكنيسة أنستاسيا أو كنيسة القيامة ، ويحتفل في الكنيسة القبطية بتذكارها يوم ١٦ توت الموافق ٢٦ سبتمبر

عزل مرسيللوس أسقف أنقره

انتهز الأريوسيون فرصة مجمع " صور - أورشليم " ليقضوا علي مدافع آخر من المدافعين عن قانون الإيمان النيقوي هو مرسيللوس Marcellus أسقف أنقره في آسياالصغري . فقد انتقد مرسيللوس تعليم أوريجانوس الذي أكد علي الأقانيم الثلاثة. أما الفكر اللاهوتي لدي مارسيللوس ذاته فلم يكن متميزا عن السابليانيةSabelllianism فقد وصف نشاط اللوجوس Logos " الكلمة " أنه نوع من التوسع أو امتداد للاهوت ، وأنه يعمل طالما أن العمل مطلوب وله ضرورة . يضاف إلي ذلك أنه انتقد الأريوسيين في نيقية ، وألف كتابا هاجم فيه الكثيرين ومنهم يوسابيوس أسقف قيصرية ويوسابيوس أسقف نيكوميدية . ووصل هذا الكتاب إلي قسطنطين الذي أعطاه بدوره إلي الأساقفة لدراسته فاكتشفوا فيه بسهولة هرطقة سابيليوس . وزيادة في تعقيد الأمور رفض مارسيللوس الإنضمام إلي إدانة أثناسيوس أو إعادة أريوس إلي منصبه . كما تنحي أيضا عن الاشتراك في إحتفالات تكريس كنيسة القبر المقدس. فكان من السهل عزل مرسيللوس وإحاطة الكنيسة والإمبراطور بذلك .

الإبقاء علي قانون نيقية

وهكذا ، فإنه بعزل يوستاثيوس ،وأثناسيوس ومرسيللوس ، أخرج من ساحة المعركة ثلاثة من أبطال قانون الإيمان الرئيسيين في نيقية ، ويعتبر إعادة أريوس إلي منصبه نصرا آخر له ، ولو أنه مات في القسطنطينية سنة ٣٣٦م قبل أن يحضر الإحتفال بإعادته إلي مركزه .ومع ذلك فان القانون النيقوي لم يقدم لمراجعته مطلقا ، فبالرغم من كل المنافسات الشخصية المحيطة بهذا العمل ، فقد ظل النص كما تم التوقيع عليه في سنة ٣٢٥م كما هو بدون تغيير بل إن الإمبراطور نفسه اعتبر نيقية

إنجازا شخصيا من الدرجة الأولي . وكما كتب جيبون Gibbon المؤرخ في الفصل ٢١ من كتابه :" تدهور إمبراطورية روما وسقوطها The Decline and Fall of the Roman Empire " لقد قدم قسطنطين الحماية لأريوس واضطهد أثناسيوس (لكنه) مع ذلك اعتبر مجمع نيقية حصنا للإيمان المسيحي ، ومجدا وشرفا خاصا لحكمه شخصيا " .

موت قسطنطين

لم يعد باقياً لقسطنطين من عمره إلا القليل . ففي اعقاب عيد القيامة سنة ٣٣٧ م مرض الإمبراطور ، ولما شعر بإقتراب ساعته طلب أن يعتمد . ولم يرقد علي فراشه بالعباءة الأرجوانية الملوكية بل في الثياب البيضاء التي يتوشح بها المنضم حديثاً . ومات قسطنطين يوم ٢٢ مايو سنة ٣٣٧ م ودفنه ابنه قسطنطيوس في كنيسة الرسل في القسطنطينية .

قسطنطين فى الميزان

من الواضح ان قسطنطين عند بنائه مدينة القسطنطينية لتكون روما الجديدة المدينة المسيحية ، آمن بأن المسيحية يجب أن تصبح الديانة الرسمية للإمبراطورية بل في الحقيقة ديانة كل العالم . ولقد كرس نفسه تماماً لقضية الوحدة في الكنيسة وفي الإمبراطورية .

وقد اعلنت الكنيسة اليونانية ان قسطنطين واحد من القديسين ، ناظراً اليه بنفس التوقير الذي تقدمه الكنيسة اللاتينية لشارلمان . وهو بالتأكيد يستحق لقب " العظيم " اعتقد يوسابيوس المؤرخ بوجوب اعتبار قسطنطين مساويا للرسل ، لكن هذا امر مفتوح للمناقشة .

يجب ان نقتبس هنا فكر المؤرخ ستانلي Stanley " هكذا رحل اول امبراطور مسيحي، اول مدافع عن الايمان ، اول نصير ملكي للكرسي البابوي ، وكل الكنيسة الشرقية ،اول من اسس الاماكن المقدسة ،وثني ومسيحي ، ارثوذكسي وهرطوقي، متحرر ومتعصب .ليس من يشابهه أو يعجب به، بل نذكره كثيرا وندرسه بعمق "

Stanley, A.D., Lectures on the History of the Eastern Church, p.320

Recommended English Readings

1 . Chadwick , Henry - **The Early Church** , pp.133 - 136.

2 . Duchesne , Louis - **The Early History of the Christian Church** , vol.ll , pp.125-152

3 . Frend , W.H.C. - **The Early Church** , pp . 157 _ 161.

4 . Jackson ,F.J.F. - **The History of The Christian Church , to A.D. 461** , pp . 316 -350.

5 . Latourette , K.S. - **A History of Christianty**, pp.157 - 161.

6 . Leitzmann , Hans - **A History of the Early Church** , vol . lll,pp.122 - 136.

7 . Walker , Williston , - **A History of the Christian Church** , pp. 109 - 111.

ب – الفكر اللاهوتي لدي اثناسيوس

لكي نقدِّر تماما اهمية اثناسيوس يلزم ان نأخذ في الاعتبار مساهمته في الفكر اللاهوتي في الكنيسة فهو من ناحية كشف ضعف حجج أريوس ، ومن ناحية اخري ثبَّت بوضوح وبصورة مقنعة معقولية عقيدة مجمع نيقية .

تفنيد اثناسيوس للأريوسية

هاجم اثناسيوس الاريوسيين بمتابعة حججهم الي نتائجها المنطقية :

١ – لو كان أريوس علي صواب ، اذا فليس الله الثالوث ازليا . فان الابن والروح القدس مخلوقين وزمنيين ومع هذا هما اقنومان من الاقانيم الثلاثة لله، وهذا يمنع ان يكون الله سرمديا

٢ – هناك احتمال تعدد الآلهة في الفكر الاريوسي . فلو كان المسيح كائنا مخلوقا ومع هذا يعبده المسيحيون (كما هو الواجب) فانهم اذاً لا يعبدون الله نفسه بل كائنا آخر *.

٣ – وجهة النظر الأريوسية تقتل يقينية الخلاص . فلو كان اللوغوس " الكلمة " (المسيح) خاضعا للتغيير،فكيف يمكن للإبن القابل للتغيير ان يؤكد ويضمن للمؤمن خلاص الآب ؟

٤ – ان فكرة وجود هذا الكائن الوسيط tertium quit فلا معني لها . الله لايأنف من الاتصال المباشر بالناسوت من خلال الابن . ولا هو عاجز عن هذا الاتصال كما انه بالتجسد لا يفقد اي جانب من جلاله الالهي بل بالحري يزيد. ولو كان يلزمه استخدام كائن وسيط لاتمام الخلاص ، اذن لوجب أن يستخدم كائنات

---

* قال باسيليوس Basil اسقف انقره في وقت لاحق " لديهم (اي الاريوسيين)إذاً إله، وإله صغير".

وسيطة في كل تعاملاته مع الخليقة علي الطريقة الغنوسية ، وحسب فكر الغنوسيين.

لاهوت المسيح وناسوته معاً في الثالوث

ويمكن توضيح الفكر اللاهوتي الايجابي لاثناسيوس كما يلي :

١ - ان سرمدية الابن المستقلة ، المتميزة والشخصية الذاتية مبدأ ثابت . فكما ان مجري الماء المنبثق من النبع ليس منفصلا عنه ، مع ان هناك صورتين واسمين، فهكذا ليس الاب هو الابن ، ولا الابن هو الاب ، ان اللوغوس Logos صادر عن او متولد من طبيعة الاب .وهو من نفس طبيعته ،ومن نفس طبيعة ونفس جوهره واللوغوس الكلمة مولود لكن بمعني اكثر اصالة جدا من ولادة الكائنات البشرية . لانه حالما يولد ولد ، فهو مختلف عن الأم والاب. وليس الامر كذلك بالنسبة للابن الوحيد لله الآب ، فاللوغوس الابن يبقى ابديا من نفس جوهر الآب . هكذا " فان ابن الله هو نفسه لوغوس Logos الكلمة والحكمة ، وهو نفسه المشورة والقصد الحي ، وفيه ارادة الاب ، وهو نفسه حق الله الآب ونوره وقوته". ومع ذلك فهما اقنومان متميزان ،" فالآب ليس هو الإبن ، والإبن ليس هو الآب ، لكن طبيعتهما واحدة " .

لقد عبرت العبارات السابقة تعبيرا حقيقيا عن كل فكر الكنيسة وتعليمها منذ أيام الرسل فيما يختص بعلاقة الآب والإبن . وكان لأثناسيوس موهبة وضع هذه في صيغة بسيطة ثم إظهار كيف ارتبطت هذه الصيغة بتعليم الفداء .

الخلاص كامل

٢ - يعتمد خلاص البشرية علي الناسوت التام واللاهوت الكامل للمسيح فقط ان كان المسيح هو الله ، بكل ما تعنيه هذه الكلمة ، لدخل الله الي الناسوت عندئذ

فقط ينال البشر بالتأكيد حق الله والشركة مع الله ، وغفران الخطايا والخلود . الكلمة اللوغوس Logos صار جسدا وكان إلها حقا وانسانا حقا ، ومن ثم فإن غاية الطبيعة الإلهية وأعمالها قد تمت من خلال الله الإنسان يسوع المسيح وبه وحده . بهذا يتثبت أساس راسخ لخلاص الناس . وبما أن المسيح هو الله الحق فقد أمكنه تأليه الجسد الذي اتخذه لنفسه . وبما أن جسده كان حقا جسدا انسانيا ، فلقد تألهت الطبيعة الإنسانية . وهكذا صرنا وارثين للحياة الأبدية.وكان أثناسيوس حريصا علي تحاشي الوقوع في مبدأ الكماليين - أي أن البشر صاروا فعلا آلهة علي الأرض .لكنه يؤكد علي أن المسيح يسكن فينا وبقوة روحه يمنحنا حياة أبدية جديدة . وبموت المسيح كذبيحة كفارية عنا أعلن لنا عن إتحاده النهائي التام مع جنس البشر . وبما أننا أصبحنا جسدا واحدا مع المسيح صار موته موتا لنا ، وانتصاره انتصارا لنا .*

الروح القدس

٣ - لم يكن دور الروح القدس يشكل قضية للمناقشة في نيقية ، لكن أثناسيوس استخدم في وقت لاحق نفس الحجج في هذا الصدد (قضية الروح القدس) فكل ما هو حق عن الإبن ويصدق عليه ، يجب أن يكون حقا عن الروح القدس ويصدق عليه . فالروح القدس من نفس طبيعة الإبن . وكما هو الحال مع الإبن، فإن الروح القدس يقدسنا ويمكننا من المشاركة في الطبيعة الإلهية .

---

* هارنك Harnack يقدم هذه التحية لأثناسيوس : الصفة المميزة لأثناسيوس ، التي جعلت تعليمه قياسيا للمستقبل ، تكمن تماما في حقيقة أنه حافظ بدقة علي وحدانية الله ولكنه بدون تذبذب تمسك بألوهية المسيح علاوة علي تمسكه بالمسيح كما هو تاريخيا.

هوموأوسيون Homoousion (من ذات الجوهر)

يجب أن نذكر هنا الإصطلاحات اللاهوتية التي استخدمت أثناء هذه الفترة . ومن النقد الموجه لإستخدام كلمة هوموأوسيون (أي من نفس الجوهر) إنها تعبيرا غير كتابي *(أي لم يرد في الكتاب المقدس) أيضا كان يمكن تفسيرها بسهولة حسب مفهوم سابيليوس ، كما كان من الممكن أن يحورها بولس الساموسطي Samosata يحولها لتأخذ معني نصف آريوسي.وقد استخدمها الغنوسيون بالفعل لخدمة أغراضهم الخاصة والغريبة.

هومويوسيون– أناموبوسيون Homoiousion - Anamoiousion

كان طبيعيا جدا أن تظهر تعبيرات أخري من نفس الأصل ، فيما كان اللاهوتيون يناضلون لتوضيح أفكارهم وآرائهم . فأنصاف الأريوسيين استخدموا كلمة هومويوسيون Homoiousion ومعناها أن المسيح من جوهر شبيه بجوهر الآب.أما المتطرفون من الأريوسيين فإستخدموا كلمة " أناموبوسيون Anamoiousion ومعناها أن الإبن لم يكن من نفس جوهر الآب . لكن الكلمة هوموأوسيوس هي التي ظلت باقية في قانون الإيمان . (المادة العلمية في القسم السابق مأخوذة في معظمها من كتاب

The Textbook of the History of doctines by Reinhold Seeberg , Baker, Grand Rapids , 1961 , vol , 1 pp . 2O6 - 215

---

* ذكر كاتب كاثوليكي أن إدخال المصطلحات غير الكتابية إلي قوانين الإيمان فتح الطريق أمام الكنيسة نحو مباديء أخري ليست بالضرورة مبنية علي نصوص الكتاب المقدس مثل الحبل بلادنس عصمة البابا من الخطأ صعود العذراء .. الخ

(Daniel , Marrou , The Christian Centuries , vol . 1. P. 252)

ج – من موت قسطنطين (٣٣٧م)إلي إعتلاء يوليانوس للعرش(٣٦١م) واستمرار الصراع مع الأريوسية

أبناء قسطنطين

خطط قسطنطين الكبير لاستمرار الحكم في أبنائه الثلاثة وأحد أبناء اخته. إلا أن الجيش رفض قبول أي شخص خلاف الأبناء الثلاثة وهم قسطنطين الثاني، وقسطانز Constans وقسطنطيوس الثاني Constantuis II . وقد قتل كل الأقرباء الذكور (ما عدا ولدين صغيرين هما جالوس Gallus ويوليوس Julius وهما من أبناء اخوة قسطنطين غير الأشقاء. وقسِّمت الإمبراطورية بين الإخوة الثلاثة . فأخذ قسطنطيوس الثاني الشرق بما فيه مصر أما قسطنطين الثاني فأخذ الأقاليم الغربية بينما أخذ قسطانز المنطقة الوسطي لإيطاليا وشمال أفريقيا .

سياسة قسطنطيوس ضد الوثنية

من بين الحكام الثلاثة أصبح قسطنطيوس الشخصية المسيطرة في الكنيسة والإمبراطورية . فقد كان أقدر الإخوة الثلاثة لكن لم يكن لديه إلا القليل من شخصية وأخلاق وحكمة أبيه .كتب أحد الكتاب يقول "إن قسطنطيوس تجاهل أفضل ما في سياسة أبيه وقدم أسوأ ما فيها (Cochrane , Christianity and Classical Culture p.254)

فيرميكوس يشجع الحملة ضد الأوثان

يرجع الفضل إلي قسطنطيوس في عمل الكثير للحد من تأثير عبادة الأوثان.إلا أنه كان من العسير جدا استئصال الوثنية .وبالرغم من أنها صارت ضعيفة ، فقد ظلت

محتفظة بشعبيتها بين الناس .وكانت الكنيسة بجانب الإمبراطور- علي وعي تام بهذا الخطر.وقد كتب فرنيكوس وهو أحد أعظم الكتاب المسيحيين الرومان الموهوبين نبذة عن زيف " العبادات الوثنية The Falsehood of the Prefane Religions يحرّض فيه الأباطرة علي التصرف مع الأوثان" لأنه يجب أن نضع نهاية لها ، أيها الأباطرة القديسون يجب أن تقطعوا عليهم الطريق بالتشريع الصارم . فمن أجل هذه القضية منحكم الله الإمبراطورية ، وإقتادكم من نجاح إلي نجاح .إنزعوا إنزعوا بدون خوف الأوثان زينة المعبد . إرسلوا هذه الآلهة إلي مكان سك النقود ، واتخذوا لكم كل ممتلكاتها بوضع اليد" (إقتباس دنشيزن Quoted by Duchesne, The Early History of the Church, Vol II, p. 253)

قوانين ضد الوثنية

أصدر قسطنطيوس أول قانون هام ضد الأوثان يقول " يجب إبادة كل الخرافات والخزعبلات تماما ". وأمر أن تكون كل المعابد خارج أسوار المدينة وألا تستخدم إلا للألعاب والملاهي . وبحلول عام ٣٥٠ م أغلقت المعابد " حتي يحرم المستهترون من فرصة ارتكاب الخطية ، وكان من يقبض عليه وهو يقدم قرابين وذبائح للمعبد تتم إدانته بعقوبة الموت ومصادرة ممتلكاته . لقد اضطهد قسطنطيوس الوثنيين واليهود معاً بنفس القسوة تقريبا التي اضطهد بها المسيحيون في وقت سابق .

قسطنطيوس يرعي رجال الدين المسيحيين

وفي نفس الوقت دلّل قسطنطيوس رجال الدين المسيحيين وزاد من المزايا المنوعة الممنوحة لهم من قسطنطين الأول . فقد أعفاهم من كل أنواع الضرائب والواجبات المدنية. كما سمح لهم أن يمارسوا التجارة . والأساقفة المتهمون في جرائم وجب أن يحاكموا فقط أمام أساقفة آخرين ، وليس في المحاكم المدنية . وأصبحت الكنيسة الآن - طبقا لملاحظة الوثنيين - أكثر خضوعا للإمبراطور وواقعة تحت إشرافه بسبب هذه الرعاية .

قسطنطيوس يريد الوحدة في الكنيسة

أما من الناحية الدينية فكان قسطنطين يميل إلي الأريوسية وكان تحت تأثير يوسابيوس أسقف نيكوميدية وقادة أريوسيين آخرين من الكنيسة الشرقية . لكن وحدة الكنيسة كانت تعني وحدة الإمبراطورية ، ولذلك - ومن أجل السلام والوحدة - حاول مثل أبيه أن يصل إلي أساس مشترك بين الطرفين . فعقد ما لا يقل عن ١٧ مجلسا منفصلا خلال حكمه مستخدما وسائل أكثر خشونة ليرغم الأطراف المتنازعة علي الإتفاق وفي ذلك كتب جون نيومان (كاردينال John N . Newman يقول عن الحاكم : " إن قسطنطيوس إذ كان متزنا في هذا المركز الغامض بين الصواب والخطأ ، نفي من كل فريق في النزاع بالتبادل ، ولم يستبق حتي اتباعه (شبه الأريوسيين) وكان بدوره يرجع بغرض الإنصاف إلي كل عقيدة وقانون ، ماعدا تلك التي تضم داخلها الحق يقينا (أي قوانين نيقية) " (Newman , The Arians in the Fourth Century P. 297)

أثناسيوس يهرب إلي روما

تم السماح لأثناسيوس ومرسيللوس بالعودة ، كل منهما إلي كرسيهما إلي أبروشيته في عام ٣٣٧ م . فعاد أثناسيوس إلي كنيسة القديس مرقس بالأسكندرية ومرسيللوس إلي أنقره ، لكن ليس لمدة طويلة . ذلك أن الأعداء الأريوسيين ذكّروا الإمبراطور بأنهما أدينا من مجمع صور / أورشليم (٣٣٤ ، ٣٣٥م)فتم تعيين أسقف يدعي جريجوري غريغوريوس Gregory من آسيا الصغري علي كرسي الإسكندرية ، ورغم عدم شعبيته بين الجمهور ، فقد أمكنه البقاء بسبب إعتماده علي جيش الإمبراطور وحمايته له . أما أثناسيوس فهرب إلي روما حيث التأييد لنيقية . وهناك رحب به كل من البابا يوليوس والإمبراطور قسطانز .

حملات أثناسيوس دفاعا عن قرارات نيقية

كان علي أثناسيوس وكل مؤيدي مجمع نيقية أ يواجهوا الآن فترة من الشك كان الكثير منه نتيجة لسياسة قسطنطيوس . إن إنسـ ا أقل من أثناسيوس ربما لم يكن في استطاعته الثبات . فبالرغم من كل الإهانات الشخصية ، فإنه استمر في حملته ضد الأريوسيين وفي الدفاع عن فكر مجمع نيقية . و استند إلي سلطان مجمع نيقية . كما استطاع أن يحشد دعم وتأييد أساقفة الغرب له مثل جوليان [illegible] وهوسيوس Hossius أسقف قرطبة في أسبانيا Spain وهيلاري Hilary أسقف بورتييه Portiers في فرنسا. واستخدم الدعاية العامة الشعبية موجها رسائل بتوقيعه كأسقف الإسكندرية . كما أرسل خطابات إلي الإمبراطور حمل بعضها دفاعا عن رأيه وبعضها الآخر استفسارا عن لياقة تدخل الإمبراطور في شئون الكنيسة . وكتب إلي قسطنطيوس قائلا : " متي كان حكم الكنيسة وقرارها يستمد صلاحيته من الإمبراطور؟ " ونلاحظ أيضا أن المكاتبات العامة التي كتبها أثناسيوس ويوسابيوس ، كل منهما ضد الآخر ، لم تكن تهتم بالفكر اللاهوتي بقدر ما كانت تبحث أي الأسقفين - أسقف الإسكندرية أم أسقف القسطنطينية - أحق وأولي بأن يصبح بابا الكنيسة الشرقية .

يوليوس يساند أثناسيوس

أثبت يوليوس بابا " روما Rome أنه مؤيد قوي فعال لأثناسيوس وللفكر النيقوي. فبعد مجمع روما سنة ٣٤٠ م كتب يوليوس خطابا للمساءلة في حكم مجمع صور/ أورشليم معلنا براءة أثناسيوس ومرسيللوس ، وبطريقة ذات مغزي خطير تمسك بأن لروما الحق في أن تتصرف كمحكمة استئناف للأحكام الصادرة في أي كنيسة أخري.وقد تضمن مثل هذا البيان بوضوح تام أن روما طالبت بأن تكون لها الرئاسة الأسقفية علي كل الأبرشيات الأخري .

يوسابيوس يهاجم أثناسيوس في أنطاكية

وفي عام ٣٤١ م دعا يوسابيوس أسقف نيكوميدية إلي عقد مجمع في أنطاكية بمناسبة تدشين كنيسة قسطنطين الذهبية في تلك المدينة .وحضره الإمبراطور قسطنطيوس وقد قبل هذا المجمع القرار المعروف بالقرار الأنطاكي الثاني .وأنكر الأساقفة أنهم أريوسيون وادعوا أنهم كانوا أوفياء لصيغة قانون نيقية . وهذه كلماتهم " كيف يمكن أن نكون - نحن الأساقفة - أتباعا لمجرد قس وهو (أريوس) وأيدت وثيقة المجمع قرار مجمع صور/ أورشليم ، وبذلك بقي أثناسيوس مدانا كما تم تخطيط معظم العبارات لتثبت أن مرسيللوس مذنب بإعتناقه مذهب سابيليوس *. وبالإضافة الي ذلك فلقد شككوا في أحقية روما أن تعمل كمحكمة استئناف للأحكام الصادرة من مجمع شرقي .

الفروق بين الشرق والغرب

لعلنا نلاحظ الآن ظهور الفروق الأساسية بين الغرب اللاتيني والشرق اليوناني فقد استنكر الشرق إ دعاء روما بأن لها الرئاسة في السلطة القضائية . أما الغرب فارتاب في الشرق لإستخدامه لغة غامضة يمكن أن تحتمل معان مختلفة ، خصوصا عند ترجمتها إلي اللاتينية . ومن الناحية الأخري شك القادة الشرقيون بأن روما لم تقدِّر تماما أخطار العقيدة السابليانية .ولم يستطع القادة الغربيون ابدا التصديق بأن الشرقيين ليسوا أريوسيين ، طالما أنهم تحت قيادة يوسابيوس ، وهكذا تطور الأمر إلي انقسام بسبب الإختلافات والفروق في المفهوم اللاهوتي وبسبب اللغة ، وكانت القضية أيضا هي قضية السلطة النهائية في الكنيسة .

---

* في الواقع كان مرسيللوس قد أصبح سببا" لإحراج مؤيدي نيقية ،وكان الفكر اللاهوتي لديه أقرب لفكر سابيليوس منه لفكر أثناسيوس.

قسطانز الحاكم الأوحد في الغرب

نحو هذا الوقت تغيرت الأحوال في الإمبراطورية . فقد قتل قسطنطين الثاني

في معركة ضد قسطانز ، تاركا أخاه يسيطر وحده علي المنطقة الغربية كلها.ومات يوسابيوس الذي كان أسقفا علي القسطنطينية تاركا وراءه فراغا في قيادة الكنيسة الشرقية .فلما مال ميزان القوة الآن لصالح الغرب ، استطاع قسطانز أن يقنع قسطنطيوس للدعوة إلي عقد مجمع يضم الشرق والغرب معا .

مجمع ساردیكا

إنعقد مجمع ساردیكا في ٣٤٢ - ٣٤٣م (مكانها حاليا صوفيا في بلغاريا) لكنه لم يسفر إلا عن المزيد من الإنقسام بين الشرق والغرب . فلما رأي قادة الشرق الدينيين أن أثناسيوس ومرسيللوس المعتبرين من الهراطقة ، حاضران في المجمع احتجوا وانسحبوا أخيرا الي فيليبوبوليس Philippopolis أما الغربيون فأصدروا قوانين وقرارات مدّعين بحق سلطان روما علي كراسي الأسقفيات الأخري.كما أصدروا بيانا لاهوتيا لتبرير حضور مارسيللوس المشكوك في أنه سابلياني . ويقال إن أثناسيوس في وقت لاحق تأسف وحزن علي نشر هذا البيان وقد كرر قادة الكنيسة الشرقية من جهتهم أنهم لم يميلوا إلي الأريوسية ، وأصدروا مرة ثانية الحرم علي أثناسيوس ومرسيللوس.كما حرموا يوليوس أسقف روما.وردا علي ذلك قام الغرب بإصدار الحرم علي باسيليوس أسقف أنقرة ، وغريغوريوس أسقف الإسكندرية ،وهكذا اتسعت هوة الخلاف بين الشرق والغرب.ويقول سقراط مؤرخ الكنيسة عن ذلك في كتابه تاريخ الكنيسة (Ecclesiastical History II , 22) ")لذلك انفصلت الكنيسة الغربية ، من ذلك الحين ، عن الكنيسة الشرقية ،وكانت الحدود المشتركة بينهما هي جبل سوكيس Saucisالذي يفصل التراقيين Thraciansعن الإيليريين IlyriansI وحسب قول ليتزمان Leitzmann قد سار خط مستقيم من ساردیكا حتي الإنفصال النهائي في عام ١.٥٤ م

(A History of the Earlyt Church , vol .II. P. 306)

الإمبراطوران يفرضان حلا وسطا

عقب مجمع ساردیكا ضغط الإمبراطوران بشدة علي كلا الجانبين للوصول إلي حل وسط .فقبل الغرب بإسقاط مسألة مرسيللوس ، وسمح لأثناسيوس بالعودة إلي الإسكندرية . وكانت هناك أيضا بعثة سلام أرسلت من الكنيسة الشرقية إلي إيطاليا معلنة إخلاصها للقانون النيقوي .ولسبب ما عدل قسطنطيوس رأيه تجاه أثناسيوس ودعاه إلي البلاط الإمبراطوري .وبعد عدة مرات من التأجيل والتأخير توجه أثناسيوس أخيرا إلي أنطاكية في عام ٣٤٦ م ، ورحب به الإمبراطور بحرارة ، وسلمه وثيقة تضمن له العودة إلي الإسكندرية . وفي تلك الأثناء مات غريغوريوس أسقف الإسكندرية فاستقبل أهل الإسكندرية أثناسيوس استقبالا حماسيا ، حيث قدر له أن يمكث هناك في سلام نسبي لمدة عشر سنوات قبل أن تجبره الأزمة التالية علي قبول النفي .

مشاكل جديدة مع الدوناتيين The Donatists

بدأ الدوناتيون من شمال أفريقيا (أنظر المجلد الثاني) * في إقامة صعوبات جديدة خلال هذه الفترة . فقد طلب دوناتوس Donatus نفسه من الإمبراطور قسطانز الإعتراف به أسقفا لقرطاجنة . فأرسل قسطانز بعثة لبحث الموقف .لكن الدوناتيين اتهموا أعضاء البعثة بمحاولة أخذ رشوة . وبدأ الدوناتيون المتطرفون من نوميديا يثورون، فكان علي الجيش الإمبراطوري أن يخمد الثورة . وحكم بالإعدام علي بعض

---

* جدير بالذكر أن الدوناتيين هم الإنفصاليون المنشقون Schismatics الذين رفضوا قبول رسامة الأساقفة الذين سبق أن استسلموا أثناء الإضطهاد .

قادة الدوناتيين ، وعين حاكم شمال أفريقيا " جراتوس Gratus أسقفا .وهو منافس لدوناتوس وذهب دوناتوس إلي المنفي في الغال ، حيث مات في عام ٣٥٥م . ومع أنه بذلك تمت السيطرة علي الدوناتيين لبعض الوقت ، فقد ظلت تحظي بتأييد شعبي كبير في شمال أفريقيا ، لكي تنهض مرة أخري في المستقبل كتهديد سياسي للكنيسة والإمبراطورية .

الإطاحة بقسطانز، وقسطنطيوس يصبح الإمبراطور الأوحد

في عام ٣٥٠ م أقبلت الإمبراطورية علي فترة من المتاعب. فقد تمت الإطاحة بقسطانز ، وقتله أحد قواد الجيش واسمه " ماجننتيوس Magnentius الذي سيطر حينئذ علي الإقليم الغربي لمدة ثلاث سنوات.وكان قسطنطيوس منشغلا آنذاك في محاربة الفرس في الشرق ، لكنه تنبه أخيرا إلي ماجننتيوس فهزمه أولا عند مورسا Mursa،ثم في السنتين التاليتين طرده الي الخلف عبر أوروبا.ولما أدرك ماجننتيوس أنه خسر المعركة ، إنتحر تاركا قسطنطيوس الآن حاكما منفردا علي كل الإمبراطورية. وكان فالينز Valens أسقف مورسا،الشبه أريوسي،أكبر معين في التشجيع والمشورة للإمبراطور أثناء هذه الأزمة.بهذه الطريقة نال الحظوة في البلاط ونجح في التأثير علي قسطنطيوس ضد أثناسيوس .

قسطنطيوس يجبر الكنيسة علي عزل أثناسيوس

دعا قسطنطيوس بتحريض من فالنز إلي عقد مجمعين أحدهما في أرلز Arles في الغال في سنة ٣٥٣ م ، والآخر في ميلان بإيطاليا في سنة ٣٥٥م في محاولة لإقناع القادة الغربيين بعزل أثناسيوس . فجاءوا يكيلون الإتهامات لأثناسيوس بأنه تباطأ بدون سبب مقبول في الإستجابة لدعوة الإمبراطور سنة ٣٤٦م . والأسوأ من كل هذا إتهامه بمساندة ماجننتيوس ضد الإمبراطور . أما في الأمور اللاهوتية ، فكان القادة

الغربيون أقل إلماما بالموضوعات الجوهرية . وقال "هيلاري Hilary أسقف بواتييه Poitiers أنه لم يسمع أبدا عن " هومو أوسيون Homoousion من قبل . كما جاء نقلا عن أحد ضباط الجيش قيل أنه إعتقد أن " هوموأوسيون " هو اسم أحد الأساقفة. وقد استخدم قسطنطيوس كل سلطة لفرض القرار ضد أثناسيوس وأصر علي الإجتماع بالأساقفة في الكواليس خفية في مجموعات صغيرة داخل القصر . كل من رفض التوقيع علي قرار الإدانة تم نفيه ، مثل هلاري أسقف بواتييه ، وهوسيوس أسقف قرطبه Cordova وليبريوس Liberius أسقف روما (الذي خلف يوليوس) وآخرين كثيرين .

سلطة قسطنطيوس علي الكنيسة

كنموذج من مفهوم قسطنطيوس لسلطته في الكنيسة نقتبس الفقرة التالية من كلمات الإمبراطور نفسه : " كمستودع إلهي للقوة الملوكية ، فإن سلطتي في الكنيسة هي السلطة الأعلي ، كما هي أيضا في الدولة " إرادتي ؟ يجب إعتبارها ملزمة "وأنا الذي أتهم أثناسيوس .. لتقم إرادتي مقام القانون كما هي مع الأساقفة السوريين " .

الهجوم علي أثناسيوس في الإسكندرية

أثناء وجود أثناسيوس في الإسكندرية ، متمتعا بمساندة شعبية عظيمة، استمر في أداء واجباته كأسقف علي الرغم من قرار المجمع . أكثر من ذلك ، كان في حوزته خطابات تأييد رسمية تدعم موقفه سبق أن كتبها له قسطنطيوس . ولكن جاء مندوب امبراطوري إلي الإسكندرية ليثير المتاعب ضد أثناسيوس ، لكنه اكتشف أن الشعب لم يستجب لجهوده . كما فشلت محاولات أخري لإقناع أثناسيوس بترك منصبه والرحيل. وفي محاولة أخيرة يائسة لطرده ، اقتحمت الجيوش الرومانية كنيسة " ثيوناس حيث كان أثناسيوس يصلي . فقتلت الكثيرين من أفراد الشعب وجرحت العديدين ، لكن

أثناسيوس إنسل بعيدا ، لم يصبه أذي ، وذهب يختبيء في أديرة الصحراء . فإحتج شعب الإسكندرية علي انتهاك حرمة الكنيسة أمام قائد الجيش الروماني لكن بلا فائدة. فقد أعد بالفعل ترجمة للقصة لإرسالها للإمبراطور يقول فيها : أن أثناسيوس قد حكم علي نفسه بمغادرة الإسكندرية بمحض إرادته .

قسطنطيوس يعين جورج في مكان أثناسيوس

عندئذ أرسل الإمبراطور مندوبا إلي مصر ومعه أوراق تعلن أن أثناسيوس عدو للشعب، فيجب البحث عنه والعثور عليه بأي ثمن . أكثر من ذلك تم عزل كل رجال الإكليروس الذين عينهم أثناسيوس ، من كنائسهم وحل مكانهم أريوسيون . بل أن أثناسيوس نفسه حلّ مكانه " جورج " الكبادوكي أسقفا علي الإسكندرية Cappadocia كان معروفا عنه أنه إنسان قاس عديم الرحمة ، ومن محبي المال . فأدخل حكم الإرهاب ضد أي من كانت لهم علاقة بأثناسيوس . والذين رفضوا التحول ضده ، عُذّبوا أو قتلوا أو أبعدوا إلي المنفي . لكن أخيرا قام الإسكندريون ضد جورج وأقصوه بعيدا.لكن الحاكم استمر ينفذ أساليبه القمعية ضد أصدقاء أثناسيوس .

أصدقاء أثناسيوس يحمونه

استمرت مطاردة أثناسيوس لكن دون نجاح .فقد كان له أصدقاء كثيرون جدا خاصة من الرهبان علي استعداد لإيوائه بعيدا عن العيون . وهناك قصة تحكي أنه كان مسافرا بالليل في قارب علي النيل،حيث اقترب منه قارب من قوارب الحكومة ونادوا عليه يسألونه" هل رأيت أثناسيوس ؟" فأجاب قائلا " أظن ذلك " فسألوه" هل هو بعيد عن هنا؟ " وكان الجواب ،" لا إنه قريب منكم جدا ، أمامكم . جذّفوا بقوة".وهكذا أسرع القارب الحكومي بعيدا عنه في الليل ، واستدار أثناسيوس بقاربه راجعا في أمان إلي بيته .

أثناسيوس يكتب وهو في المنفي

خلال الأعوام الستة التي قضاها أثناسيوس في المنفي ، انتهز الفرصة ليكتب الكثير .فكتب دفاعا مطولا للإمبراطور ، مدافعا عن فكره ومبرهنا علي أحقيته بكرسي أسقفية الإسكندرية . ومن المحتمل في الغالب أنه كتب أيضا أبحاثه الأربعة ضد الأريوسيين، كما كتب مؤلفه الشهير نجم الصحراء - حياة القديس أنطونيوس *
Star of the Desert The Life of St. Anthony

خدمة أثناسيوس الرعوية

يحظي أثناسيوس حتي اليوم بالتبجيل من الكنيسة القبطية من أجل خدمته الرعوية للمسيحيين في مصر . ففي ثلاث مناسبات أثناء توليه البطريركية قام برحلات وصلت جنوبا الي أسوان ، متوقفا في الكنائس والأديرة علي طول الطريق. وكانت هذه الزيارات فرصا لإحتفالات شعبية عظيمة . إن دوره كراعٍ للقطيع كان مصدر التشجيع والوحدة داخل الكنيسة والأمة (أنظر كتاب إيريس حبيب المصري) قصة الكنيسة القبطية .(The Story of the Copts , Paragraphs No. 144. 153 and No 183)

---

* ألف أثناسيوس كتبا ونبذا عديدة . من بين أهم مؤلفاته اللآهوتية الكتب الآتية :

" عن التجسد "	1 - On the Incarnation
" عن القوانين "	2 - On the Decrees ,
" ضد الوثنيين "	3 - Against the Pagans
" حول المجامع "	4 - On the Synods
" شرح الإيمان "	5 - The Exposition of Faith
" الدفاع ضد الأريوسيين "	6 - Apology against the Arians
" إلي أساقفة مصر "	7 - To the Egyptian Bishops

أنصار اللامشابهة في الجوهر" الأنومويا‌سون " جماعة أريوسية متطرفة

خلال هذه الفترة اتخذت الحركة الأريوسية حياة جديدة . بقيادة "يودوكسيوس Eudoxios أسقف أنطاكية ، يعاونه لاهوتيان زكيان قديران "أكتيوس Actios و "يونوميوس Eunomios " وحجتهم أن الإبن ليس من جوهر الآب ، وانه مخلوق من مرتبة المخلوقات وقد أطلق عليهم إسم "أنومويانز " بسبب التعبير الذي إستخدموه " أنوميوس Anomoios أي" غير المشابه في الجوهر " وبينما كسبت هذه الحجة الأريوسية المتطرفة أتباعا كثيرين لنفسها فإنها أيضا قسمت الحركة الأريوسية . فإن أشباه الأريوسيين الأكثر اعتدالا بقيادة باسيليوس أسقف أنقرة ، أرادوا الإحتفاظ بكلمة " هومويوسيوس Homoiousios " (من جوهر مشابه) علي أنها التفسير الصحيح لقانون نيقية .

مجمع سيرميوم Sirmium

في هذه الأثناء كان الإمبراطور- تحت تأثير فالينز أسقف مورسا- قد دعا إلي عقد مجمع من الأساقفة الغربيين في سيرميوم بيوغسلافيا سنة ٣٥٧ م أسفر هذا المجمع عن قانون أريوسي قلل من مقام الإبن إلي مركز إله مساعد ثانوي . وقد دعا هيلاري أسقف بواتييه هذا القانون " تجديف سيرميوم ". وإستطاع باسيليوس أسقف أنقرة بمساعدة ليبريوس Liberius أسقف روما ، أن يقنع قسطنطيوس بإعادة النظر في قرار سيرميوم . وقد دعا الإمبراطور في عام ٣٥٩ م إلي عقد مجمعين ،أحدهما في أريمينيوم Ariminum (حاليا ريميني بإيطاليا) والآخر في سلوقيا Seleucia بآسيا الصغري . وقد حضر نحو أربعمائة أسقف من الغرب ، وأكثر من مائة أسقف من الشرق .

مجمع أريمينوم ومجمع سلوقيا وال "هوموويوس" Homoios

كان باسيليوس يأمل في استرداد صيغة ال هوموويوسيوس Homoiosios إلا أن " فالينز" كان له أتباع كثيرون في الغرب ، وكان يودوكسيوس وجورج من أقوياء الشرق. وكان كل ما يريده الإمبراطور هو صيغة ترضي أكبر عدد ممكن وتؤدي إلي إحلال السلام في الكنيسة . وقد تحدد أن موضوع " الجوهر" Ousios " هو أكبر مشكلة . لذلك حذفت كل التعبيرات التي أستخدمت فيها تعبير أوسيوس Ousios مثلHomoousios Homoiousios Anomoios واستقر رأيهم علي كلمة هوموويوس Homoios التي تعني أن الإبن مشابه للآب - لكن ليس في الجوهر ولا في كل الأشياء . ورفضوا أن يقولوا كيف يكون الإبن مشابها للآب .معتقدين أن ذلك فوق قوة العقل البشري . ومع أن هذه الصيغة أبعدت جماعة " ال "أنوميانز " الأريوسيين المتطرفين ، فلقد ملأ الرعب كلا من النيقوميين مستقيمي الرأي وأنصاف الأريوسيين المحافظين . فقد رأوا بحق أن كلمة " هوموويوس Homoious تركت الباب مفتوحا لكل أشكال التفسيرات الأريوسية لكن قسطنطيوس ، إعتقادا منه بأنه يستحيل علي الكنيسة أن تتحد حول قانون الإيمان النيقوي ، أراد صيغة واسعة ومبسطة ، يمكن أن تتفق عليها الغالبية العظمي . فإستخدم كل أنواع القسر ليرغم الأساقفة علي الموافقة. والذين رفضوا مثل باسيليوس أبعدوا إلي المنفي* .

قبول تعبير " هوموويوس " من الأريوسيين

صارت الصيغة " هوموويوس " Homoios تعبيرا كلاسيكيا لدي الأريوسية ، واكتسبت قبولا واسعا وسط الشعب القوطي وقبائل الأوثان الأوربية الأخري لكنه كان

---

* يبدو أن قسطنطيوس كان في عجلة من أمره ، فقد كانت سنة ٣٦٠م عيد إنفراده بالحكم . فأراد أن يحتفل بهذه المناسبة في نفس الوقت مع الإحتفال بقبوله القانون الجديد.

يوما مظلما للكنيسة وبتعبير " جيروم " يئن ويتأوه العالم كله مندهشا إذ يجد نفسه أريوسيا .(Dialogue Against the Luciferians . 19) وفيما يلي ملاحظة ديتشزن Duchesin إن قانون نيقية سنة ٣٢٥ م وقانون أريمينيوم سنة ٣٦٠ م وكلاهما متضادان وكل منهما يسقط الآخر The early History of the church ,Vol .2, P . 245

التقارب بين النيقويين وأنصاف الأريوسيين

علي أي حال ، كانت هناك نتائج إيجابية من هذه المأساة . فالأريوسيون المتطرفون والمدعوون الأنوميانز أخرجوا من الساحة . أما حزب أثناسيوس النيقوي الأرثوذوكسي المستقيم الرأي مع أشباه أنصاف الأريوسيين المحافظين التابعين للأسقف باسيليوس فإضطروا لإعادة النظر في أفكارهم ومواقفهم . وهنا اكتشفوا أنهم لم يكونوا متباعدين عن بعضهما بالدرجة التي كانوا يظنونها . فقد كان باسيليوس يقول دائما أنه نيقوي شرعي حقيقي وبدا علي أثناسيوس الآن أنه بعيد النظر في رأيه بالنسبة لأشباه الأريوسيين .

استخدام أثناسيوس لصيغة " هوموأوسيوس Homoousio "

يبدو أن الأرثوذكس المؤيدين لنيقية لم يستندوا الي صيغة " هوموأوسيوس كما قد يظن . ويقول المؤرخ ليتزمان في كتابه Leitzman The History of the Early Church vol.III. P . 197) ،أن جماعة المؤيدين لنيقية ، مع أنهم يشيرون دائما في كتاباتهم إلي قانون الإيمان ، الا أنهم كانوا يقتبسون فقط فقرات الحرم الأناثيما التي وردت ضد الأريوسية " لا أحد حتي يوليوس أو أثناسيوس استخدمها كإختبار لصحة العقيدة، ولا أحد إقتبس القانون النيقوي أو طلب من المعارضين أن يوافقوا عليه " . ويذكر ليتزمان أيضا أن أثناسيوس نفسه في كتاباته الأولي لا يشير الي

هوموأوسيوس أو إلي نيقية . وفي مؤلفاته الرئيسية ضد الأريوسيين يذكر "الحرم" الأناثيما ضد أريوس ويشير مرة إلي " هوموأوسيون" homoousion" الا أن الإبن يوصف بأنه مشابه (هوموبوس Homoios للآب أو مساو له من كل الوجوه ، أو شبيه في الجوهر أو الطبيعة كل الكلمات الإستدلالية التي صنِّفت في تاريخ لاحق كاصطلاحات خاصة بالهرطقة الأريوسية ونصف الأريوسية ، يستخدمها أثناسيوس في هذه المؤلفات المبكرة ، بطريقة راضية ودية " (Leitzman P. 222)صحيح أنه في الكتابات التي وضعها بعد ذلك في السنوات ما بين. ٣٥ - .٣٦ م خصوصا ضد اليوسابيين ، يبين الفارق بين صيغة هوموأوسيوس Homoousios وصيغة " هوموبوسيوس Homoiousios

صداقة أثناسيوس وباسيليوس

بحلول عام .٣٦ م وقد بلغ أثناسيوس الرابعة والستين من عمره ، أدرك أن بينه وبين باسيليوس والمحافظين الآخرين أشياء كثيرة مشتركة . ففي كتابه41 De Synodis كتب يقول " إن من يقبلون كل ما كتب في نيقية ، ولو أنهم ما زالوا يستبقون الشك حول عبارة هوموأوسيوس Homoousios ، لا ينبغي أن يعاملوا كأعداء .وأنا لا أهاجمهم كأريوسيين مجانين ، ولا كمقاومين للآباء . إني أناقش الأمور معهم كأخ مع إخوة يفكرون كما نفكر ويختلفون فقط علي كلمة واحدة . ومن ضمن هؤلاء باسيليوس أسقف أنقرة الذي كتب عن الإيمان ".

مع أن الأريوسية عاشت لمدة أعوام عديدة ، فإن عقد الستينات في القرن الرابع (.٣٦ - .٣٧ م) يضع علامة إنحسار تأثيرها علي قيادة الكنيسة كما كان للتغييرات السياسية أيضا تأثير عظيم .

Recommended English Readings

1 - Chadwick , Henry -**The early Church** , pp . 136 - 145

2 - Frend , W. H. C .**The early Church ,** pp. 161 - 168 .

3 - Jackson , F . J.F .**The History of the Christian Church,** to A.D. 46 , pp . 328 - 350

4 - Latourette , K . S.**A History of Christianity ,** pp . 158 - 160 .

5 - Walker , Illiston -**A History of the Christian Church** , p. III - 114 .

6 - Wand , J.W.C.**A History of the Early Church to A.D. 500** Methuen London , 1937 , pp. 159 - 166 .

Two texts give more detailed descriptions of this period :

Duchesene , Louis -**Early History of the Christian Church ,** vol . II pp. 123 - 250 .

Leitzmann , Hans ,**A History of the Early Church ,** vol . III , pp .181 - 260 .

د – يوليانوس المرتد (٣٦١ – ٣٦٣ م)
يوليانوس وانتعاش الوثنية

نأتي الآن إلي فاصل غريب لكل من الكنيسة والإمبراطورية . هذا الفاصل فترة حكم جوليانوس المرتد ، الذي حاول إنعاش الوثنية وإزاحة المسيحية . ومع أنه حكم أقل من سنتين ، كتب عنه وفرة من المؤلفات ، جزء كبير منها كتبه يوليانوس نفسه.ومن خلاله عرفنا لمحة توضيحية للعلاقات بين الكنيسة والدولة في الإمبراطورية الرومانية المتأخرة .

حياة يوليانوس المبكرة وتربيته

كان يوليانوس وأخوه جالوس Gallus الوحيدين من ذوي القربي اللذين إستبقاهما قسطنطيوس عندما تخلص من كل الذين احتمل تعاقبهم علي وراثة العرش . تربي الأخوان تربية مسيحية تحت إرشاد يوسابيوس أسقف نيكوميديا كما تثقفا أيضا في العلوم الإغريقية التي أثرت علي يوليانوس لدرجة أنه صار شغوفا بالوثنية . وعندما شب، وكان تحت إرشاد معلم يدعي ليبانيوس Libanius تحول إلي إعتناق صورة سرية من(الأفلاطونية الحديثة)كان يكن الإحترام بصفة خاصة لإله الشمس هليوس مثلما فعل عمه قسطنطين الأول .علي أنه إستمر بعض الوقت يسلك ظاهريا كمسيحي .

غريغوريوس يصف يوليانوس

من التعليقات المثيرة عن شخصية يوليانوس ، ما كتب عنه لما كان زميلا في الدراسات الكلاسيكية بأثينا لكل من غريغوريوس النازينزي Nazianzus وباسيليوس القيصري (وهما إثنان من ثلاثة كابادوكيين Cappadocians سيأتي الكلام عنهم في الفصل التالي) فقد وصف غريغوريوس يوليانوس في وقت لاحق قائلا :" كان يكتنفه

جو التوحش والتقلب ، له عينان زائغتان ومشيته مضطربة ، ونظرته عصبية ، كما كانت ضحكته بشعة ولا معني لها ، وكانت طريقته في الحديث فظة وغير منتظمة ، الأمر الذي يكشف عن عقل مريض مضطرب مع نفسه". (Oratio V. 23)

قيادة يوليانوس للجيش الغربي

وفي هذا الوقت كان جالوس قد عين حاكماً لسوريه . لكن حكمه كان قاسيا وعنيفا حتي أن قسطنطيوس عمل علي عزله وإعدامه .أما يوليانوس ، الذي كان دائما يكره قسطنطيوس ، إزدادت كراهيته له الآن أكثر . وربما نجا هو نفسه من الموت بتدخل الإمبراطورة يوسابيا Eusebia قسطنطيوس ، وفي سنة ٣٥٥ م أثناء حروب قسطنطيوس في الشرق والغرب ، إستدعي يوليانوس وأشركه معه في الحكم كقيصر وزوّجه من أخته هيلانه * ثم أرسله إلي بلاد الغال (فرنسا) ليشرف علي قيادة الجيوش الرومانية هناك. .

يوليانوس يصبح الإمبراطور الأوحد عند موت قسطنطيوس

وعلي غير المنتظر تماما ، أثبت يوليانوس أنه قائد عسكري ممتاز. ففي خمس سنوات من الحرب أخضع نهائيا القبائل الجرمانية التي كانت تهدد الإمبراطورية من الشمال .حينئذ أمر قسطنطيوس أن ينقل نصف قوات يوليانوس إلي الشرق لمعاونته في محاربة الفرس . إلا أن جنود الجيش تمردوا وتجمعوا حول يوليانوس وأعلنوه امبراطورا عليهم . ولسنا نعرف كم كان تشجيع يوليانوس لهذه الثورة . إنه بالتأكيد لم يتردد في قبول لقب " أغسطس " الذي كان يمنح فقط للإمبراطور الحاكم . فإستشاط

---

* كانت هذه عادة تتبع كثيراً وسط الأسرات الملكية للحفاظ علي المركز ، والقوة ، والثروة داخل الأسرة.

قسطنطيوس غضبا عند سماع الخبر . وأصبح التهديد بحرب أهلية وشيكا عندما تحرك يوليانوس شرقا وقسطنطيوس غربا . الا أن قسطنطيوس مات في نوفمبر سنة ٣٦١ م في آسيا الصغري قبل أن يلتقيا ، لكن ليس قبل أن يعين يوليانوس خلفا له .

الآن وصار يوليانوس بالفعل الإمبراطور ، مع أنه إدعي عدم رغبته في أن يكون الإمبراطور أو أن يحل محل قسطنطيوس . وكتب يقول :" لماذا جئت أنا إذن ؟ لأن الآلهة أمرتني صراحة ووعدتني بالخلاص إذا أنا أطعت ، وإنها لن تفعل أي شيء لو أنني بقيت . لقدكان في فكري أن أخيفه فقط (قسطنطيوس) وأن الأمور حينئذ ستتجه إلي المفاوضات المقبولة . لكن لو استلزم حسم الأمر القتال فإنني وقد وضعت كل شيء في يد القدر والآلهة ، عقدت العزم علي البقاء .

يوليانوس يكشف عن معتقداته الوثنية

مع أن يوليانوس حضر جنازة قسطنطيوس ودفنه في كنيسة الرسل بالقسطنطينية، إلا أنه علي الفور كشف عن ولائه القديم للأوثان . وقد كان يعيش بالفعل حسب فلسفة الرواقيين الصارمة - فكان يطلق شعر رأسه ولحيته ولا يقلم أظافره كما كان ينام علي الأرض ، ورفض أكل الأطعمة الدسمة وإحتساء الخمر وإمتنع عن العلاقات الجنسية إلا خلال فترة زواجه القصير . ماتت زوجته سنة ٣٦٠ م. وكتب يقول : " لقد عبدنا الآلهة جهارا ، كما قدم معظم رجال الجيش الذين يرافقونني الإكرام لها... لقد أمرتني الآلهة أن أطهر كل شيء بقدر الإمكان ".

إصلاحات يوليانوس في الحكومة

تمشيا مع اعتقاده بأن الإمبراطورية في حاجة إلي التطهير تحول أولا إلي البلاط الملكي . ففي أثناء حكم قسطنطيوس صار البلاط مكانا للترف والفساد . وكان هناك

فيض من كل شيء من الملابس والطعام والمال والناس خصوصا من يقومون بالخدمة في القصر الإمبراطوري ." كان هناك ألف من الطباخين ومثلهم من الحلاقين وربما أكثر من ذلك من الخدم وكان هناك حشود من السعاة والخصيان أكثر من الذباب حول البهائم في وقت الربيع ، وجمع غفير من " تنابلة السلطان " من كل نوع " ولقد خفَّض يوليانوس من هذه البطانة تخفيضا كبيرا - من الخدم والجواسيس والسكرتاريين . كما وضع معلمي الأفلاطونية الحديثة في مكان الأساقفة الأريوسيين الذين أحاطوا بقسطنطيوس وأراد أن يصوغ حكمه علي طريقة " ماركوس أوريليوس " Marcus Aurelius " الملك - العالم (١٢١ - ١٨٠ م) وكان المثل الأعلي والنموذج عند يوليانوس هو أمبراطورية يحكمها الفلاسفة الذين يعمل تحت إشرافهم المديرون وقادة الجيش علي نمط جمهورية أفلاطون .

يوليانوس يحاول إحياء الديانة الوثنية

تأهب الإمبراطور الآن لتجديد وإحياء الديانة الوثنية . فأمر بإعادة بناء المعابد وبرد الأملاك السابق مصادرتها . وعبر عن إيمانه الشخصي بعبادة إله الشمس ،مقدماً القرابين علنا في كل مناسبة ، ومشجعا الآخرين أن يفعلوا بالمثل وحث الكهنة أن يعيشوا حياة التقشف ، مقدما فيما فعل القدوة الحسنة . وقد لاحظ يوليانوس فاعلية النظام الإداري للكنيسة المسيحية فحاول تنظيم الديانة الوثنية علي نفس الخطوط لكنه لم ينجح كثيرا . كما طالب الكهنة أن يطبقوا بعض الممارسات المسيحية :" ألا نلاحظ أن أعظم ما جدد نمو الإلحاد (يقصد المسيحية) هو العطف علي الغرباء ، والتفكيرالسابق فيما يختص بدفن الأموات ، وإصطناع الكرامة في حياة الفرد ؟ ففي رأيي أن كل واحدة من هذه السجايا يجب أن ننميها بإخلاص داخلنا ".

يوليانوس يضيق الخناق علي المسيحية

أعلن يوليانوس التسامح مع كل الأديان ، وكان حريصا علي تحاشي سفك الدماء الذي تميزت به الإضطهادات الأولي القديمة . ونصح ضباطه قائلا " بحق الآلهة لست أريد أن يقتل الجليليون (المسيحيون) أو يضربوا ظلما بدون مبرر ، ولا أن يعانوا من أي سيئة أخري . علي أنني أقرر أن خائفي الله (يعني الوثنيين) يجب أن يفَضَّلوا عليهم". وقد دلت العبارة الأخيرة أنها مفتاح سياسته . ففي كل أمر كانت الأفضلية والأولوية لغير المسيحيين فألغي حق الإكليروس في الإعفاء من الخدمة المدنية ، ونقل آخرين كثيرين من الوظائف العامة. خفَّض من عدد المسيحيين العاملين بالقانون .وحينما قتل الغوغاء جورج أسقف الإسكندرية وبخهم توبيخا خفيفا فقط قائلا " أنه كان من الواجب تقديم الأسقف للمحاكمة بدلا من قتله ". وطبقا لسياسة التسامح التي إتبعها فيبدو أنه اعتقد كما قال أحد من كتبوا سيرته الذاتية " إن المسيحيين يفنون بعضهم بعضا ، إذ عرف بالخبرة أنه لا توجد وحوش أعدي للجنس البشري من فتك المسيحيين بعضهم بالبعض (لقد كان بلاشك يفكر في المنازعات اللاهوتية والكنسية الشهيرة التي ميزت الكنيسة في عصره) .من أخطر أوامره المحسوبة منْعه المسيحيين من ممارسة مهنة التعليم في المدارس العامة . لقد ربط يوليانوس بين الدين والتعليم معا . محتجا بأن من لا يؤمن بآلهة اليونان ليس مؤهلا لتعليم آدابها .والأمر الذي يثير الدهشة هو أن المسيحيين المثقفين كانوا يعرفون العلوم اليونانية أفضل معرفة . وكثيرون منهم كانوا أساتذة أجلاء بل حتي أقرب المستشارين إلي يوليانوس إعتبروا ذلك سياسة غير حكيمة أن يستبعد المسيحيون عن مهنة التعليم.

إجراءات عنيفة ضد المسيحيين

بالرغم مما أعلنه يوليانوس من تسامح مع المسيحية ، فإنه كثيرا ما إتخذ

إجراءات عنيفة وقاسية ضدهم ، فعندما إحترق معبد أبوللو في أنطاكية أغلق كنيسة أنطاكية العظيمة الذهبية مع أن المسيحيين لم يكن لهم ضلع في الحريق وسمح لأثناسيوس بالعودة إلي الإسكندرية لكن عندما مارس واجباته مرة أخري كأسقف ، أمر يوليانوس بإبعاده ، ودعاه قائلا" ذلك الرجل اللعين " وقد أفني فعليا مدينة قيصرية ، مدمرا مبانيها ، ومشردا سكانها ، كما حرّض شعب بوسترا Bostra على طرد أسقفهم تيطس وصادر أموال وأراضي المسيحيين في إديسّا . ولما رفض جنديان مسيحيان رفع شعار المسيحية - chi - Ro - من ألوية وأعلام الجيش قطع رأسيهما .

إحتقار يوليانوس للمسيحيين

كان يوليانوس في الحقيقة يحتقر المسيحيين . هذا واضح حتي لما تظاهر بأنه يرثي لحالهم ، " جماعة الجليليين الفقراء ، العميان ، المخدوعين الذين تخلوا عن أعظم إمتياز للإنسان ، وهو عبادة الآلهة الخالدة ، عبدوا بدلا منها الموتي وعظام الموتي ". وكان يؤمن أن طريق المسيحية طريق بربرية وحقيرة وغبية بالمقارنة إلي إيمانه هو ، حيث قال : " نحن متفوقون عليكم من كل وجه ، في معرفة الفنون ،والحكمة ، والذكاء ". علاوة علي ذلك إعتبر المسيحيين تهديدا للإمبراطورية . وهكذا يقول " كوكران " كان يوليانوس مقتنعا بأن الإمبراطورية قد إحتضنت - في المسيحية - مصاصا للدماء ، إذا لم يستأصل في الحال فإنه سيستنزف منها سريعا دم الحياة " . (Christianity and classical Culture P. 272) كما اعتقد أن" وصمة الإلحاد (أي المسيحية) يجب أن تمحي ".

يوليانوس ينتقد المسيحية

قدم يوليانوس العديد من الحجج ضد المسيحية . فأبرز التناقضات بين العهد القديم والعهد الجديد . فقد تحول المسيحيون في رأيه عن ناموس موسي " فالجليليون

مثل دودة العلق ، إمتصوا أرداً الدماء من ذلك المصدر وتركوا الأنقي ." وكانت ألوهية المسيح بالنسبة له أمر لا يصدق ، كما إعتبر أن تعاليم المسيح إنما هي تعاليم صادرة من قروي جاهل أمي مجرد من الحق والجمال . فقد كانت تعاليم ضعيفة وغير عملية ، وإذا أخذت جديا فإنها تدمر الأمة والمجتمع والأسرة . كما إعتقد أن المسيحيين أدخلوا بدعا ليست موجودة أصلا حتي في كتبهم المقدسة ، مثل تبجيل القديسين " الرؤوس المتعفنة في الأحماض ، والعظام النتنة - صارت الآلهة الجديدة للشعب الروماني ." إنهم مراءون ومنافقون لأنهم يبشرون بإنجيل المحبة ، ومع ذلك يضطهدون خاصتهم من الشعب (مثال ذلك الأريوسيون والأرثوذوكس).أخيرا إن "خلاصة وجوهر المعرفة اللاهوتية لديهم تقلصت إلي أمرين : يصفّرون لطرد الشياطين ويرسمون علامة الصليب علي جباههم " .

يوليانوس يحاول إعادة بناء الهيكل في أورشليم

فكر يوليانوس في مشروع غريب كي يذل المسيحيين - فقرر ان يعيد بناء الهيكل في أورشليم . فقد أدرك أن اليهود الذين إستبعدوا من أورشليم لمدة مائتي سنة لا يمكنهم تقديم الذبائح إلا في الهيكل فقط . وهو في هذا إحترم اليهود، مع أنه إزدري بهم في مواضع أخري ، معتقدا أن كل الصلوات يجب أن تصحبها الذبيحة . كذلك اعتقد بأن بناء الهيكل ينقض نبوة يسوع عن الهيكل " إنه لا يترك ههنا حجر علي حجر لا ينقض " (مت ٢٤ : ٢). والمهم أنه ليس هناك ما يسجل أن اليهود رحبوا بالمشروع (نادرا ما يذكر هذا المشروع في كتابات اليهود) فقد كان يوليانوس بالنسبة لهم أمميا ووثنيا وثانيا، كان معظم اليهود يعتقدون أن الهيكل لن يعاد بناؤه الا عند مجيء المسيا. علي كل حال فقد بدأ المشروع في مارس من سنة ٣٦٣م وتوقف تقريبا علي الفور . وتقول إحدي الروايات أنه حالما بدأ العمال في الحفر ، إنفجرت في الأساسات كرات من نار ولفحتهم . ويعتقد البعض أنه ربما حدث زلزال أخاف العمال فهربوا مذعورين .

يوليانوس يفشل في إحياء الوثنية

كان أعظم فشل لحق بيوليانوس هو عجزه عن إحياء الديانات القديمة فربما كان متفلسفا أكثر من اللازم . وحتي الشعب لم يستجب لتحذيراته ونصائحه كما لم يهتم أحد خاصة كهنة الأوثان بمحاكاة نمط حياته فى الزهد والتقشف . لكن الحقيقة أن قلب الديانة القديمة كان قد فارقها . وهناك روايات عن كهنة منهم إنحطت أحوالهم لدرجة التسول ، وعن هياكل خربت ودمرت ، وعن عائلات للكهنة ذابت تماما في البيئة المسيحية السائدة . وكما إعترف يوليانوس نفسه "نحن في حالة من بلادة الحس إزاء الشئون الدينية حتي لقد نسينا تقاليد أجدادنا " .

موت يوليانوس

لو أن يوليانوس عاش عمرا أطول ، لربما اختلفت القصة . لكنه قتل يوم ٢٦ يونيه سنة ٣٦٣م أثناء حملة عسكرية ضد الفرس ، وكان عمره آنذاك ٣٢ سنة . هناك روايتان عن لحظات موته ، ولو أن المؤرخين لم يقبلوهما . إحداهما تقول إنه نثر الدم من جرحه تجاه إله الشمس قائلا " كن راضيا " . وتقول الأخري إنه بنفس الحركة صرخ " أيها الجليلي (المسيح) لقد إنتصرت ".

خلاصة القول إنه إذا كان يوليانوس قد سبَّب الخوف والقلق بين المسيحيين لفترة قصيرة، فإنه أيضا جعلهم يعيدون التفكير في أحوال الكنيسة والشر الذي وجد طريقه إلي المقدسات . ويقول فيليب سكاف Philip Schaff " كان هذا الإضطهاد المؤقت الوقتي عقابا عادلا وتدريبا صحيا للكنيسة وللإكليروس الذين تحولوا إلي الدنيويات (History of The Christian Church vol . III P . 41) وأعطي إختبار جوليان لقادة الكنيسة درسا بأن لا يثقوا كل الثقة مدة ثانية في حماية الملوك والأباطرة للكنيسة . لكنهم

سرعان ما نسوا هذا الدرس .

---

* معظم المادة في القسم السالف الذكر مأخوذة عن كتاب يوليانوس الجاحد Julian the Apostate , G.W. Bowersock , Duchwarth , London , 1978 .

Recommended English Readings

1 - Chadwick, Henry -**The Early Church**, pp. 154-159.

2 - Duchesne , Louis -**The early History of the Church** pp . 251 - 268 .

3 - Frend , W.H.C.**The Early Church** , pp . 169 - 179 .

4 - Jackson , F.J.F .**The History of The Christian Church** ., pp.351 - 374 .

5 - Leitzmann , Hans -**A History of The Early Church** . vol . III , pp . 261 - 269 , 273 - 287

6 - Wand , J.W.C . -**A History of The Early Church** , pp . 167 - 173 .

٤ - من جوفيان إلي
ثيودوسيوس ومجمع
القسطنطينية (٣٦٣-٣٨٢ م)

الإمبراطور جوفيان

بعد موت يوليانوس ، أصبح جوفيان Jovian إمبراطورا.وكان جوفيان بانونيا Pannonia , وكان عضوا كبيرا في الحرس الإمبراطوري. وقد أعاد علي الفور للمسيحيين حقوقهم وإمتيازاتهم وأصدر مرسوما هذا نصه :" يجب أن تعبد الله القدير والمسيح وحسب ، وعلي الشعب أن يجتمع في الكنيسة للعبادة ".وقد تسامح في بعض الممارسات الوثنية لكن في نطاق محدود جدا .

العمل نحو الإتفاق

في خلال هذه الفترة ، برزت ثانية المجادلات اللاهوتية المختلفة ، فيما بعد مجمع نيقية ، وتحرك المدافعون عنها يحدوهم النشاط . لكن يمكن القول إنها كانت فترة التقارب معا. فقد كان أثناسيوس والآباء الكابادوكيون من آسيا الصغري بصفة خاصة، يعملون نحو الأساس المشترك .وكان الأريوسيون بلا ريب في طريق الأفول وكان هناك اتجاه واضح نحو الإتفاق ، وقد تحقق هذا علي قدر ما أمكن في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ - ٣٨٢م .

فالنتنيان وفالنز

مات جوفيان فجأة سنة ٣٦٤م ، وانتقل الحكم إلي فالنتينيان الذي عين أخاه فالينز ليحكم في الشرق . أثبت فالنتينيان أنه غالبا لا يبالي بشئون الكنيسة . فعندما طالب وفد من الأساقفة بعقد مجمع لتسوية مسألة القانون ، أجاب فالنتينيان : " أنا علماني ولست في حاجة إلي أن أنزعج وأنشغل بمثل هذه الأمور، فهي من إختصاص الكهنة الذين ينبغي أن يرتبوا إجتماعاتهم حيثما أرادوا ".أما فالينز- من الناحية

الأخري - فبتأثير من يودكسيوس الأريوسي أخذ يهتم جديا بشئون الكنيسة . وعندما اتخذ مجلس الكنيسة قرارا يتعارض مع رغباته عزل أغلبية الحاضرين . قلل فالينز الكثير من الإمتيازات التي سبق أن تمتعت بها الكنيسة (فمثلا لم يستطع الكهنة أن يباشروا عملا أو يكنزوا ثروة شخصية ، كما لم يمكن لمحاكم الكنيسة أن تصدر قرارا في القضايا الجنائية . كما أن الكثير من الأساقفة الذين عزلهم قسطنطيوس وأعادهم يوليانوس عزلهم ثانية فالينز ومن بين هؤلاء أثناسيوس .ولو أنه سمح له بالعودة في السنة التالية.(أثناسيوس ، في الواقع ، نفي خمس مرات) .

السنة الأخيرة لأثناسيوس

عاش أثناسيوس سنوات عمره الأخيرة في سلام بالإسكندرية حتي وفاته في سنة ٣٧٣م .لقد اكتسب إحتراما يجل عن الوصف لدرجة أنه حتي فالينز الإمبراطور الأريوسي تحاشي أن يتحداه .وعندما ظهر الأسقف لوسيوس Lucius منافسا له في الإسكندرية والمفروض أنه تحت رعاية فالينز ، كاد جمهور الشعب أن يمزقه إربا . بلا شك كان لأثناسيوس نصيب وافر في الوصول إلي إتفاق أخير علي قانون نيقية . وقد ساعد علي إزالة سوء الفهم حول التغييرات اللاهوتية اليونانية واللاتينية.ففي مجمع الإسكندرية سنة ٣٦٢ م أوضح أن الكلمة اليونانية " Ousios "تقابلها في اللاتينية كلمة Substantia " ، أي جوهر أو مادة ، وأن الكلمة اليونانية " HYPOSTASIS " تقابلها في اللاتينية " PERSONA " = " PERSON" = أقنوم . ومع أنه لم يتفق أبدا مع الكابادوكيين تماما ، الذين فضلوا تعبير هومويوسيوس " HOMOIOUSIOS" علي " هوموأوسيوس HOMOOUSIOS فإنه أجاز قبول تفسيرهم لصيغة قانون نيقية.

أثناسيوس وقانونية الأسفار الكتابية

كما ينبغي أيضا أن نقدر تأثير أثناسيوس في أمور أقل إثارة للجدل . فطبقا لقانون نيقية الأصلي كان أسقف الإسكندرية ينتدب لنشر رسالة العيد السنوية معلنا تاريخ عيد الفصح و القيامة . هذه الرسائل المرسلة من أثناسيوس إلي أبعد الأماكن بإتساع الكنيسة كلها ، كانت تناقش العديد من الأمور ذات الإهتمام المسكوني . فمثلا في سنة ٣٦٧ م عالج موضوع الأسفار القانونية. فرتب أسفار العهد القديم وعددها إثنين وعشرين وهو ٢٢ ، يوافق العدد الفعلي الحالي تسعة وثلاثين سفرا وهذا لأنه أحصي السفر المزدوج سفرا واحدا (مثلا أخبار الملوك الأول والثاني .. إلخ) كما أحصي أسفار الأنبياء الصغار كسفر واحد . وقد حذف سفر أستير لكنه أدرج نبوة باروك ورسالة إرميا (من الأبوكريفا) كما كانت قائمة أثناسيوس التي سجل فيها السبعة والعشرين سفرا هي أول تسجيل لقانون العهد الجديد الحالي ، الذي تأكد بإتفاق الآراء عبر السنين . فقد تأيد من مجمع شمال أفريقيا المنعقد في Hippo سنة ٣٩٣ م وتأيد مرة ثانية من سنودس قرطاجنة بعد ذلك بأربعة أعوام .

بطرس يخلف أثناسيوس

الأسقف بطرس شقيق أثناسيوس حل محله كبطريرك في كرسي مارمرقس بالإسكندرية . لكنه لم يستطع الثبات أمام القوات الإمبراطورية فعين الإمبراطور فالينز أسقفا أريوسيا هو لوسيان بدلا منه رغما عن رغبة الشعب ، والمعارضون نفاهم، وتدنست كنيسة " ثيوناس " مرة أخري ، وإلتجأ بطرس إلي روما . وعندما مات الإمبراطور فالينز سنة ٣٧٩ م خلفه جراتيان Gratian ، وتمكن بطرس من العودة إلي كرسيه في الإسكندرية .

أ – الآباء الكابادوكيون من آسيا الصغري

الآباء الكابادوكيون

كانت القيادة اللاهوتية في هذه الفترة تنتقل بسرعة إلي أيدي الآباء الكابادوكيين: باسيليوس القيصري (سنة ٣٢٩ - ٣٧٩م) ، وأخيه غريغوريوس النيصي (سنة ٣٣٠ - ٣٤٥ م) ، وغريغوريوس النازينزي Nazianzus سنة (٣٣٠ - ٣٨٩ م).وقد إضطلع هؤلاء الثلاثة بمسئولية كبري في صياغة القانون النيقوي ، الذي طبّق في القسطنطينية في سنة ٣٨١ م . ويعد هؤلاء الآباء الثلاثة من بين أعظم القديسين في الكنيسة الأرثوذوكسية الشرقية ، كما تكن لهم الكنيسة الغربية إحتراما جليلا.

١ – باسيليوس أسقف قيصرية

تربيته الأولي :

ولد باسيليوس الكبير أسقف قيصرية في أسرة غنية في الميراث المسيحي . فقد تعرض أجداده لإضطهاد دقلديانوس . وكان أبواه من أثرياء المسيحيين وعملا علي أن ينال هو وأخوه غريغوريوس قسطا وافرا من التعليم في قيصرية والقسطنطينية . ثم أرسلاهما بعد ذلك إلي الجامعة في أثينا ليتثقفا بالعلوم التقليدية الكلاسيكية اليونانية وهناك تعرفا علي يوليانوس الذي أصبح فيما بعد الإمبراطور المرتد . كذلك تصادقا مع غريغوريوس النازينزي . وعند عودتهما إلي قيصرية عمل باسيليوس كمعلم للبلاغة ، لكنه إزداد شغفا بحياة التقشف وقد رسم قارئا في سنة ٣٥٧ م وبعد زيارات كثيرة إلي سوريا وفلسطين ومصر قرر أن يكرس نفسه لحياة الرهبنة .

باسيليوس وحياة الرهبنة والتقشف

وعندما عاد باسيليوس إلي بلدته في " بنتس " ٍ تزل في صومعة صغيرة عند نهر بنتس . وفيما يلي تأمل لباسيليوس عن حياة النسك والرهبنة :

" أي شيء أعظم من التشبه علي الأرض بجوقة ملائكية ، في طلعة الصبح تقوم للصلاة ، وتمجيد الخالق بالإنشاد والتسبيح ، ثم الذهاب إلي العمل في إشراقة الشمس الصافية ،مصحوبين بالإبتهال والصلاة في كل مكان حيث نمزج العمل بالتسبيح كما الملح في الطعام ؟ الخلوة الصافية هي بداية تطهير الروح لإن العقل إذا لم يضطرب من خارجه ، وإذا لم ينقد ذاته في أحاسيس العالم ، يرجع إلي نفسه ويرتفع إلي فكرالله".)

Quoted By Philip Schaff , History of the Christian Church , vol , III , P . 900)

تحفظات باسيليوس حول حياة الرهبنة

علي أي حال ، كان باسيليوس ينتقد معيشة النسك في الرهبنة ، كما يتبين من الإقتباس التالي لأقواله :

" حين يعيش الإنسان منفردا فإنه ينشد خلاص نفسه فقط وهذا ضد ناموس المحبة .. لا أحد يصحح أخطاءه ... الله خلقنا ، كأجزاء الجسم المختلفة يحتاج كل منا إلي معونة الآخر .. ومن يعش لنفسه قد يكون لديه موهبة ثمينة ، لكنه يدفنها . وكل من يقرأ الإنجيل (متي ٢٥ : ٢٥ و ٢٦) يعرف خطورة هذا الفعل . فالناس في المجتمع يتشاركون معا في المواهب .. وكيف يكون أي إنسان متواضعا ، شفوقا أو صبورا ما لم يكن هناك إنسان آخر ؟ أقدام من تغسل ؟ لمن تقدم الخدمة ؟ كيف تكون أصغر الجميع إذا كنت وحدك؟ "

(Quted by John Foster , Church History I The First Advance P. 151)

إنتخاب باسيليوس أسقفا لقيصرية

من المفيد أن نلاحظ أن باسيليوس مع إعجابه بحياة الرهبنة ، وجد نفسه غير ملائم لها فقد قال لصديقه غريغوريوس ، " إنني أجد نفسي معذبا بنفس القلق في كل مكان حتي إنني في الحقيقة لم أنل أي عون أو مساعدة من هذه العزلة ، وإذ عرف الأسقف يوسابيوس ، بمواهب باسيليوس العديدة ، دعاه سنة ٣٦٤ م لمعاونته في النضال ضد الأريوسية.وفي سنة ٣٧٠ م إنتخب أسقفا لقيصرية ، ودخل بنشاط في الصراع اللاهوتي حفاظا علي قانون نيقية . كما شرع أيضا في إصلاح الأسقفية نفسها، وأعاد نظام الرسامة كما عين الأساقفة في المناطق المحتاجة . وأنشأ باسيليوس الأديرة والمستشفيات والمصانع للمعوزين .وقد كثرت المباني من هذا النوع حول كنيسته حتي أطلق عليها إسم " المدينة الجديدة ". وكان لباسيليوس آراء متطرفة عن كيف ينبغي علي الأغنياء أن يستخدموا أموالهم لمساعدة الفقراء . إن موعظته عن الربا الفاحش يذكرها البعض كفكر رائد للفكر الإشتراكي الحديث .

باسيليوس يخدم الفقراء

فيما يلي إقتباس من كلمة لصديقه غريغوريوس النازينزي :

" لقد أقنع باسيليوس الأغنياء بالفعل أن يكنزوا لهم كنزا في السماء .هنا تجد الدين يتعامل مع الكوارث والمرض ... لن تري بعد ذلك البرص ، المنبوذين ، المذعورين ، بدون رحمة ، وأشباه الموتي ، ينشدون أغانيهم الحزينة أن تبقي لديهم صوت للغناء . لقد إستقبلهم باسيليوس وحياهم كإخوة ... لم يهتم الأسقف بوسائل الترف مثل الطباخين ، والأعياد ، والعربات ، والثياب الفضفاضة بل اهتم بالفقراء واهتم بإقتفاء أثر المسيح في شفاء وتطهير البرص ، ليس بالكلام عنه ، بل بالفعل ". (QUTED BY " JOHN FOSTER CHURCH HISTORY I , THE FIRST ADVANCE P,152

باسيليوس يجيب علي فالينز

سرعان ما واجه باسيليوس المتاعب مع فالينز الإ براطور الأريوسي الذي أراد أن يعيِّن أساقفة أريوسيين في العواصم الكبري ، في طاكية والقسطنطينية.أما غير الأريوسيين الذين قاوموا ، فهددهم فالينز بمصادرة الممتلكات والنفي والموت . فكتب باسيليوس يرد عليه قائلا : " ليس أكثر من هذا فلن يمسني أي أمر من هذه الأمور. فمن لا يملك شيئاً لا تصادر ممتلكاته ولست أخشي النفي لأنني لست محصورا بمكان فأنا ضيف لدي الله الذي له كل الأرض ، أما عن الإستشهاد فأنا لست أهلا له ، لكن الموت ربح لي ، لأنه ينقلني بطريقة أسرع الي الله الذي أحبه وإليه أتوجه . كما أنني أيضا شبه ميت بالفعل ، ومنذ مدة طويلة أراني مسرعا إلي القبر" .

فالينز يحترم باسيليوس

وجاء فالينز إلي كبادوكية وقابل باسيليوس فتأثرأولا ببلاغته الأسقف . وثانياً صلي باسيليوس من أجل إبن الإمبراطور المريض البالغ من العمر ست سنوات وشفي الصبي(ولو أنه مات في وقت لاحق). وإنطلاقا من الإحترام والعرفان بالجميل طرح الإمبراطور تهديداته جانبا فيما يختص بالأسقف باسيليوس .

باسيليوس يحاول الحصول علي مساعدة روما

عندما أصبح باسيليوس أسقفا لقيصرية ، ابتهج لذلك أثناسيوس الذي دعاه" خادماً أمينا لله ".ولو قدر لأثناسيوس أن يحيا مدة أطول ، ربما كان أنجز الكثير هو وباسيليوس معاً،وكان باسيليوس يسعي لطلب مساعدة أثناسيوس في منازعاته اللاهوتية و الكنسية المختلفة كما كان يعلم أن الأسقف السكندري كان علي صلة قوية

بروما.وكان باسيليوس يأمل أن يتدخل أثناسيوس لدي البابا دماسيوس لتحسين المعاملة للأرثوذوكس في الشرق ، وأيضا لإنهاء الإنقسامات في أنطاكية حيث بلغ فيها في أحد الأوقات عدد الأحزاب المختلفة المتنازعة علي الأسقفية خمسة أحزاب.لكن هذه الجهود فشلت ليس فقط بسبب موت أثناسيوس لكن أيضا لأن ديماسيوس أسقف روما لم يكن يهتم بالمساعدة أو يميل إلي ذلك .ربما لم يكن يود أن يسبب متاعب في الإمبراطورية الشرقية حين كان فالنتينيان الإمبراطور الغربي في سلام مع الكنيسة

أعداء الروح القدس

ومن بين الصعوبات التي واجهها باسيليوس ما لاقاه من معارضي الرأي القائل أن الروح القدس من نفس جوهر الآب والإبن . فقد كان باسيليوس يؤمن تماما بأن الروح القدس أقنوم مساو للآب والإبن ،أما الفريق الآخر بقيادة كفيل سابق لباسيليوس يدعي يوساثيوس فيتمسك بأن الروح القدس كان كائن مخلوق ، أقل من الآب والإبن. وقد عرف إقرار هذه الجماعة بإسم Pneumatomachi نيوماتوماخي " أي أعداء الروح" كما كانوا يعرفون أيضا بإسم " Macedonians " المقدونيين " علي إسم أحد قادتهم. ولم تحل هذه القضية إلا في مجمع القسطنطينية في سنة ٣٨١ فقط .

تعليم أبوليناريس APOLLINARIS

سعيا- مرة أخري ، وراء التعاون مع الكنيسة الغربية ، أرسل باسيليوس شماسا من أنطاكية هو دوروثيوس إلي روما لإقناع دماسوس للإتحاد معها ضد ال

"نيوماتوماخي "، وضد أتباع أبوليناريس The Apollinarians * . وكان أ يضا يشجع ميليتيوس Meletius" المرشح الأرثوذوكسي لكرسي أنطاكية .ومع أن البابا دماسيوس كان متقفا بصفة عامة مع الفكر اللاهوتي للكبادوكيين الا أنه فشل في إتخاذ خطوة إيجابية . إن تصرف الكنيسة الغربية كان - في أفضل الحالات - عدم مبالاة ، وفي أسوأها عجرفة .

٢ - غريغوريوس النازينزي NAZIANZUS

غريغوريوس أسقف نازيانزوس

إن حياة غريغوريوس توازي بوجه التقريب حياة باسيليوس . كان لوالدته نونًا NONNA تأثير قوي عليه وبالإضافة إلي تعليمه في قيصرية وأثينا ، نال قسطا وافرا من الخبرة في الإسكندرية . كان غريغوريوس متأثرا بشدة بأثناسيوس ، كما تأثر أيضا بمدير مدرسة التعليم الجدلي بالإسكندرية و هو ديديموس الضرير* * BLIND DIDYMUS عند عودته إلي نازينزوس ، ترك غريغوريوس كل الملذات العادية مكتفيا بأكل الخبز والملح فقط مع شرب الماء فقط ، نام علي الأرض ، لبس عباءة خشنة.وطبقا لما قاله،" فإن العمل يستغرق النهار أما الصلاة والتسبيح والتأملات المقدسة فتستغرق الليل".وقد قبل رسامته أسقفا في سنة ٣٦١ م مضطرا.

---

* الأبولينارية مذهب نشأ مبدعه أبوليناريوس من مدرسة الإسكندرية لتعليم عقيدة المسيح وإتجه هذا المذهب الي التأكيد علي ألوهية المسيح فوق ناسوته

** مع أن ديديموس كان ضريرا إلا أنه تعلم البلاغة والفلسفة والرياضة . وحفظ العهد القديم والعهد الجديد عن ظهر قلب . كان يجل أوريجانوس ويحترمه جدا كما كان مدافعر أمينا عن قانون نيقية وكان ديديموس مقربا جدا إلي أنطونيوس وغيره من الرهبان . ألف ثلاثة كتب عن الثالوث وكان روفينوس "RUFINUS " و " جيروم " JEROME " من بين تلاميذه العديدين .

إشتهار غريغوريوس في القسطنطينية

عندما حاول باسيليوس صديق غريغوريوس أن يقيم أساقفة أرثوذوكس علي إمتداد كبادوكيا عين غريغوريوس في مدينة بعيدة غير هامة . غير أن غريغوريوس لم يعش أبدا هناك بل إنسحب إلي بيته . وفي سنة ٣٧٩ م قبل رعاية كنيسة صغيرة في القسطنطينية .و بلباسه الحقير ومظهره البائس ترك إنطباعا سيئا لدي علية القوم والأرستقراطيين في المدينة . لكن عندما فتح فاه ليعظ نال إعجابهم بسهولة بل حتي الوثنيين إحتشدوا ليسمعوه .وفي إحدي المرات هاجم الغوغاء الأريوسيون الكنيسة ودنسوها . وعندما دعي غريغوريوس لسماع أقواله رسميا ، تكلم بطريقة رائعة ضاعفت من شهرته . وقد دعيت الكنيسة الصغيرة التي خدم فيها كنيسة " إنستاسيا " أي القيامة .

غريغوريوس يصبح أسقفاً للقسطنطينية

جاءته الفرصة في سنة ٣٨١ م ليصبح أسقفاً للقسطنطينية وقد عينه الإمبراطور فعلياً وخدم فترة قصيرة ، لكن الأساقفة الآخرين تجادلوا حول إختياره وذلك بدافع من الغيرة والحسد.وأخيرا إنسحب غريغوريوس مشمئزا وهو يقول : " سأكون يونان الثاني".أضع نفسي لخلاص سفينتنا (الكنيسة) " ولو أنني بريء من العاصفة لتقع القرعة عليّ ولتطرحوني في البحر ". كان غريغوريوس يلقب " بالإلهي " و " اللاهوتي" من أجل أحاديثه ومحاضراته ضد الأريوسيين .لكن أفضل ما يبقي لذكراه مواهبه الخطابية التي هدت القسطنطينية إلي صحة العقيدة .

٣ – غريغوريوس النيسي

غريغوريوس النيصي (النيسي)

كان غريغوريوس أخو باسيليوس ،إنسانا خجولا هادئا يركز علي الدراسات اللاهوتية .لم ينشغل بالعمل السياسي مثلما فعل باسيليوس لكنه اكتسب صيتا يستحقه ككاتب ، وفي أثناء إنعقاد مجمع القسطنطينية سنة (٣٨١ – ٣٨٢ م)أرْسل علي رأس بعثة إلي أورشليم لإقامة السلام لكنه رجع بدون نجاح يذكر.وإذ تأثر بشدة بتعاليم أوريجانوس فإنه أخضع الفلسفة اليونانية الهيلينية لخدمة الحق المسيحي .وكان أول لاهوتي يوضح علاقة تجسد المسيح ممارسة (الأفخارستيا).كما كان في تأييده وتدعيمه لقانون نيقية ، أعظم معين في التمييز بين Ousio ومعناها الجوهر = ESSENCE ، و PERSON = HYPOSTASIS ومعناها الأقنوم .وقد مات غريغوريوس في سنة ٣٩٥ م .

إنتشار علم اللاهوت

كان غريغوريوس النيصي (النيساوي) هو الذي لاحظ كيف استولي علم اللاهوت علي انتباه عامة الشعب . فكل إنسان مهتم بالمسائل الدينية ويستعلم عنها وقد كتب غريغوريوس من القسطنطينية يقول :

" في هذه المدينة ، إذا سألت أي شخص عن تغيير العملة ، ناقشك عما إذا كان الإبن مولودا أو غير مولود ، وإذا سألت عن جودة الخبز ، أجابك ان الآب أعظم والإبن أقل.فإذا اقترحت ضرورة الإستحمام ، أخبرك أنه لم يكن هناك شيء قبل خلق الإبن".

الكابادوكيون وقانون الإيمان النيقوي

بفضل هؤلاء الآباء الثلاثة العظام من الكنيسة الشرقية صار الطريق ممهدا للحفاظ علي قانون إيمان نيقية وقد تأكد مكان الروح القدس وأنه مساو للآب والإبن ، وإذا كان الكابادوكيون قد اختلفوا مع أثناسيوس فلقد كان الخلاف مسألة تنبير أكثر منه خلافا علي الموضوع. وإذ كان الكابادوكيين قد تثقفوا بمعرفة الفلسفة الهيلينية وتعليم أوريجانوس ، فإنهم إتجهوا إلي البدء بالأقانيم الثلاثة للثالوث ثم تدرجوا إلي " OUSIA " (الجوهر)، وكان اللغز عندهم هو الوحدانية ، فكيف يكون الثلاثة واحدا ؟ أما أثناسيوس فبدأ بالوحدانية ثم تدرج الي الأقانيم الثلاثة .وكان اللغز عنده في الثالوث فكيف يكون الواحد ثلاثة ؟ وإنطلاقا من هذه المداخل المختلفة للموضوع أمكن التوصل إلي تفهم الموضوع بصورة جوهرية ،فإنه في الثالوث كل ما كان مشتركا بين الآب والإبن والروح القدس ينبغي أن يسمي " جوهر = OUSIA ، وما كان خصوصيا لكل واحد منهم يجب أن يشار إليه بعبارة " أقنوم = HYPOSTASIS .

الكابادوكيون يتأملون الطبيعة

إحدي الصفات الجذابة لدي الكابادوكيين الثلاثة لاحظها المؤرخ فيليب سكاف PHILIP SCHAFF ، هي أنهم كانوا ذوي إحساس بعالم الطبيعة من حولهم . وقد إعتبر سقراط الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد ، أنه ليس هناك ما يمكن أن نتعلمه من الطبيعة ولذلك لم يكن يتريض أبدا سيرا علي قدميه . وبلا شك أن إتخاذ الوثنية لمعظم وحيها من قوات الطبيعة الفَّجة والضارية ، قد جعلت الكتَّاب المسيحيين مثل ترتليانوس يتجنبون الموضوع كله . لكن الكابادوكيين رأوا في جمال العالم الطبيعي صنعة يد الله. وفيما يلي نماذج مما كتبوا عنها : باسيليوس : " النجوم ، الزهور الخالدة في السماء ، رفعت روح الإنسان من المنظور إلي غير المنظور " . غريغوريوس النازينزي "كل الأشياء تسبح بحمد الله وتمجده بأنغام لا ينطق بها ، ومن

أجل كل شيء أقدم أنا أيضا شكري لله ، وهكذا تسبحه هذه المخلوقات ، التي أنطق هنا بأغنية تسبيحها لله وهي أيضا لنا " غريغوريوس النيصي يقول :" عندما أري كل حافَّة صخرية، كلّ واد ، كلّ سهل مغطي بالعشب والنبت الجديد .. جمال الأشجار والزنابق عند قدمي ..الروائح الذكية ، والألوان رائعة الجمال ، عندما أتأمل البحر في عمقه .. إلخ . إن من ينظر هذا كله متأملا بمنظاره الروحي ، يشعر كم هو ضئيل - الإنسان في هذا الكون العظيم "

SCHAFF , PHILIP . HISTORY OF THE CHRISTIAN CHURCH VOL , III , PP. 897 , 898 .

ب - ثيودوسيوس ومجمع القسطنطينية

المسيحية ، الديانة الوحيدة للإمبراطورية

بموت فالينز في سنة ٣٧٨ م تغيرت الظروف جذريا في الإمبراطورية والكنيسة . وقد جلس إبن أخيه جراتيان علي عرش الغرب محل فالنتنيان الذي مات في سنة ٣٧٥ م، وقام جراتيان بتعيّين ثيودوسيوس إمبراطورا للشرق وكان جراتيان وثيودوسيوس كلاهما متعاطفين تماما مع مؤيدي نيقية في الكنيسة . و قد قام ثيودوسيوس - إثباتا أنه الأكثر حسما، بنشر مرسوم في سنة ٣٨٠ م بموافقة جراتيان ، ثبّت بموجبه المسيحية ديناً للإمبراطورية .

مرسوم ثيودوسيوس

" نحن الأباطرة نريد أن يتمسك كل رعايانا تمسكاً راسخاً بالديانة التي علمها القديس

بطرس للرومان ، التي حفظها لنا التقليد بأمانة ، والتي يعترف بها الآن الحبر الأعظم دماسوس أسقف روما ، وبطرس أسقف الأسكندرية ، ورجل القداسة الرسولية . فنحن حسب تأسيس الرسل وتعليم الإنجيل نؤمن بالله الواحد :الآب والإبن والروح القدس وأنهم متساوون في الثالوث الأقدس . ونأمر بأن يدعي المعتنقون لهذا الإيمان " مسيحيين كاثوليك " كما أننا نصم كل منعدمي الشعور أتباع الديانات الأخري بإسم شائن كهراطقة ، ونمنع جمعياتهم السرية من إنتحال إسم كنائس . وعلاوة علي دينونة العدل الإلهي يجب أن يتوقعوا أشد العقوبات التي تري سلطاتنا فرضها بالحق، تحت إرشاد الحكمة السماوية (CODEX THEODOSIANIS XVI : 1 , 2 .) .

قوانين لحماية المسيحية

وبعد ذلك أصدر ثيودوسيوس مجموعة من القوانين وضعت لحماية وتقوية وضع الكنيسة في الإمبراطورية .وهذا الإجراء يضعه "د. الارد" D.ALLARD, LE CHRISTIANISME, TIANISME ET L`EMPIRE ROMAIN PP.263 ,264" منع ثيودوسيوس إستدعاء الأسقف كشاهد ، ولم يسمح بمحاكمة جنائية ولا عقوبة بدنية أثناء الصوم الكبير ، وأدرج يوم الفصح ويوم الأحد ضمن الأجازات الشعبية العامة وحظر علي اليهود شراء عبيد مسيحيين .ولم يسمح بالألعاب في أيام الآحاد- ولوائح أخري كثيرة مشابهة ... بعد ذلك من سنة ٣٨١ - ٣٩٤ م صدرت قوانين ضد الهراطقة وهم بالتحديد الأريوسيين ، اليونوميين ، المانويين ، المكدونيين (ضد الروح القدس)،الأبوليناريين Arians, Eunomians , Manchaeans , Macedonians (Pneumatomachi), Apollinarians, مصادرا كنائسهم ومسلّما مبانيهم للكاثوليك (أي كما كانت تعرف الكنيسة في الغرب)، فارضا الحظر علي إجتماعاتهم ،طاردا إلي المنفي أساقفتهم وكهنتهم ، ومصادرا كل الأماكن التي كانوا يقيمون فيها مراسمهم وشعائرهم ، ويصفه هودجكين HODGKIN كما يلي :

" كان التشريع الذي أصدره ثيودوسيوس ناجحا للغاية في قمع كل التعاليم المناهضة لقانون نيقية وكان للإنتصار المكتسب علي هذا النحو ،تأثيره الهائل علي مصائر وأقدار الإمبراطورية ، والمسيحية ، وأوروبا الحديثة ". (HODGKIN . ITALY AND HER INVADERS . VOL . I , 6

مجمع القسطنطينية المسكوني

ثم دعا ثيودوسيوس إلي عقد مجمع في القسطنطينية في سنة ٣٨١ م وهو ما يعرف الآن بالمجمع المسكوني الثاني بعد نيقية . * ومن بين القرارات الهامة لهذا المجمع :-

١ - تقرر أن تعتبر الأريوسية مناقضة للقانون الروماني .

٢ - أسقف القسطنطينية يلي أسقف روما مرتبة لأن القسطنطينية هي روما الجديدة (هذا القرار ضايق الإسكندريين لأنه وضعهم في المركز الثالث بعد روما والقسطنطينية) .

٣ - إدانة مذهب الأبوليناريه .

٤ - أعلن أن الإيمان النيقوي هو قانون الإمبراطورية .

" **فيليوك** Filio que "

كانت الإضافة الهامة لقانون إيمان نيقية ، هي أكمل وصف لمكانة الروح القدس: " هو الرب وواهب الحياة ، **وأنه ينبثق من الآب** ، وأنه له السجود والتمجيد مع الآب والإبن ، وأنه قد تكلم بالأنبياء " لاحظ أنه في قانون الإيمان المستخدم في الكنائس الغربية تأتي العبارة الموضوع تحتها خط أعلاه ، بهذه الصيغة ، "إنه ينبثق

---

* يحتفل بذكري مجمع القسطنطينية في خدمة القداس القبطي ٨ فبراير.

والإبن " هذه هي صيغة " فيليوك " (ومعناه والإبن أيضا) وهي الصيغة التي قدرلها أن تصبح هكذا نقطة جدل ونقاش بين الكنائس الشرقية والغربية إبتداء من القرن الثامن الميلادي .

قانون ايمان نيقية

يجب ملاحظة أن القانون الذي يسمي الآن قانون القسطنطينية ليس هو القانون الذي نتج عن ذلك المجمع في سنة ٣٨١ - ٣٨٢ م . فلم يذكر ذلك القانون بهذه الصفة، قبل سنة ٤٥١م في خلقيدون وهو عملياً أقرب ما يكون الي الإعتراف الذي يتلي عند الاعتماد في الكنيسة في أورشليم والذي انتشر إستعماله عامة حوالي سنة ٥٠٠ م بعد الميلاد بإعتباره القانون النيقوي .

Recommended English Readings

1 - Boer, H.R. -**A Short History Of The Early Church**, Eerdmans GrandRapids, 1976 , P. 118

2 - Chadwick Henry -**The Early Church** , PP . 145 - 151 .

3 - Frend , W. H. C**The Early Church** , PP. 180 - 189 .

4 -Jackson , F.J.F. **History Of The Christian Church to A.D. 461**,PP. 375 - 404

5 - Latourette K.S.**A History Of Christianity** , PP . 160 - 164.

6 - Mcgiffert , A.C.**A History Of Christian Thought,** VOL , I . PP . 267 - 275 .

7 - Schaff, Philip**History Of The Christian Church,**VOL III . PP, 893 - 922.

8 - Walker , Williston **A History Of The Christian Church** , PP.115 -119 .